العرب قادمون

## المغامرون الستة
## و
# سر اختفاء العباقرة


تأليف
محمد فتحى صبرى

رسوم
وسام سيد عمر

كانت بداية الدراسة في النصف الثاني من العام الدراسي بكلية الصيدلة العربية ساخنة، وكانت إدارة الكلية في حالة نشاط هائل، من أجل تنفيذ الخطة التي وضعتها للتوصل إلى بدائل من الأعشاب لمعظم الأدوية الكيميائية؛ حتى تتجنب البلاد العربية والدول النامية المشكلة التي ستنجم عن مضاعفة أسعار الأدوية.

قال عميد الكلية في الكلمة الافتتاحية:

يجب أن تعرفوا أننا قد بدأنا عامًا شديد المشقة؛ لأن كل جهدنا يتركز على اكتشاف ما هو جديد، وهذا ما يجعل عملنا شاقًا، ولذلك فقد تم تقسيم طلبة الكلية إلى مجموعات بحثية، حيث ينضم كل طالب إلى المجموعة التي يرغب في الانضمام إليها.

وجد الأصدقاء الستة فرصة سانحة ليكونوا جميعًا ضمن مجموعة واحدة من هذه المجموعات، فيتسنى لهم

بذلك أن يلتقوا معًا في المعامل، أو يتنــاولوا غــذاءهم مجتمعين في الكافيتريا، كما يكون بإمكــانهم أن يلتقــوا جميعًا في وقت الراحة.

كان كل من حمدي وهادية يشعران بأنهمــا أســعد مخلــوقين فــي الــدنيا، فهمــا الحبيبــان والخطيبــان والصديقان، وها هما سيلتقيان دائمًا، وإلى جانب ذلــك، سيستمتعان بوجودهما وسط أصدقائهما.

وبعد مرور عدة أيام، إذا بمجموعة الأصدقاء تشــعر فجأة بأن حبل ارتباطها ينفك، حيث تلقى طلال مكالمــة من والده، يطلب منــه الســفر بســرعة إلــى بلــده- السعودية- لأمر غاية في الأهمية.

وما أن سافر طلال، وأمضى ثلاثة أيام بالســعودية، حتى فوجئ الجميع بأنه يتصل بجاسر، ويخبره بأن والده مضطر إلى نقل نشاطه إلي السويد لمدة قد تصــل إلــى ثلاث سنوات، الأمر الذي وضعه في مأزق لا يعرف لــه حلاً، حيث سيضطره ذلك إلى ترك ابنته جلبهار- والتي

لم تتجاوز الخامسة عشر من عمرها- بمفردها؛ لأن الحياة في السويد لا تلائم تقاليد أهل السعودية، ولذلك لم يجد أمامه حلاً سوى أن يطلب من طلال تحويل أوراقه إلى كلية الصيدلة بالسعودية؛ ليعيش مع شقيقته.

كان وقع الخبر على الأصدقاء بمثابة الصاعقة، فغممت لمياء بصوت متهدِّج، وعيناها تزرفان الدمع:

هل هذا معقول! يضحي بمستقبل ابنه لمجرد مشكلة واجهته!

وقالت هادية في حيرة:

وللأسف، لا يمكن لجلبهار أن تقيم في مصر مع شقيقها طلال؛ لأنه يعيش في بيوت الطلبة التابعة للكلية.

وفجأة، ومضت بذهن حمدي فكرة جعلته ينتفض واقفًا ويقول في حماس:

لقد وجدت الحل!

**فالتفت الجميع إليه، وسأله وليد في لهفة:**

**ما هو؟**

**أومأ حمدي برأسه، وقال وكأنما يُحدّث نفسه:**

**لا بد أن أجري هذه المكالمة التليفونيـــة، ثـــم تـــرك الجميع، واندفع مغادرًا المكان، وشاهده الجميـــع وهـــو يتحدث من تليفونه المحمول لمدة طويلة، ثم عاد بعدها، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة واسعة، وبادرهم قائلاً:**

**الآن فقط أستطيع أن أقول: إنني وجدت الحل لمشكلة إقامة جلبهار.**

**قالت هادية وكأنما قرأت أفكاره:**

**لقد عرضت على أسرتك أن تقـــيم جلبهـــار معهـــم، وتكون صديقة لشقيقتك، فوافقوا، أليس كذلك؟**

**فنظر حمدي إليها في إعجاب، وأومأ برأسه مؤكدًا:**

**فعلاً، هذا ما حدث.**

بدت عن الجميع زفرات عميقة تنبئ عن أن كلاً منهم تنفس الصّعداء أخيرًا، بعد إحساسهم بحل المشكلة.

وبعد أن عرض حمدي الفكرة على والد طلال، جعل يفكر لساعات، حتى اقتنع أخيرًا بجدواها، حيث كان يعرف عائلة حمدي جيدًا، فوجد أن هذا الحل بمثابة طوق النجاة؛ حيث ستعيش ابنته مع أسرة يفيض كل أفرادها حنانًا، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الأسرة تحافظ على القيم والتقاليد والعادات التي يحرص على أن تعيش عليها ابنته، فأخذ أول طائرة في طريقها إلى القاهرة، ليلتقي بأسرة حمدي، التي رحبت بوجود جلبهار بينهم.

علقت والدة حمدي قائلة في سعادة:

إنها ستعيش مع ابنتي كأختها.

جاءت جلبهار لتعيش مع أسرة حمدي، وبعد عدة أيام، اكتشفت الأسرة أن جلبهار ليست فتاة عادية، بل

هي فتاة عبقرية، حيث تستطيع أن تقرأ كتابًا متوسط الحجم في بضعة ساعات فقط، وتستوعبه بنفس مستوى من يقوم بدراسة هذا الكتاب في عدة أيام بأكملها، كما تستطيع إجراء عدة عمليات حسابية معقدة في بضع ثوان، دون الاستعانة بالآلة الحاسبة، أو حتى الاستعانة بالكتابة على الورق!

وعندما وصل هذا الخبر إلى الأصدقاء، أصيبوا جميعًا بالدهشة، فعلَّق طلال في ضيق:

إن جلبهار شقيقتي قد ظهرت موهبتها هذه منذ صغرها، ولكن- للأسف- لا توجد لدينا جهة تهتم بهؤلاء الأطفال العباقرة، ولذلك لا يظهر نبوغ العبقري من العرب إلا عندما يذهب إلى الخارج!

إلا أن موضوع عبقرية جلبهار لم يلبث أن تبخر من أذهان الأصدقاء جميعًا؛ لأنهم انهمكوا تمامًا في الدراسة والأبحاث.

شعر حمدي أنه يعيش أجمل أيـام عمـره، حيث الأبحاث المعملية بكلية الصيدلة، والتي يعشق إجراءها، إلى جانب هادية التي يشعر وهو بجانبها وكأنه يعيش في عالم أخر، وتتضاعف بهجته بوجوده إلى جانب أصدقائه الذين لا يستطيع أن يفترق عنهم ولو ساعة واحدة.

كان الأصدقاء جميعًا في نهاية كل يوم خميس من الأسبوع، يسافرون إلى مدينة القاهرة، ويعودون في نهاية اليوم التالي. وكانت أم حمدي تحرص دائمًا على أن تُعد لهم الأطعمة المصرية الشهية، كالملوخية، وكباب الحلَّة، حيث كان يحبهما جاسر، وأما هادية ولمياء ووليد، فكانوا يحبون تناول المحاشي بكافة أنواعها.

وفي أحد أيام الإجازات، وبينما أُعدت مائدة الطعام بمنزل حمدي، وشرع الجميع في الجلوس حول المائدة مع أهل البيت، فوجئ الجميع بحدث جعل كلاً منهم يكاد يغشى عليه من شدة الرعب؛ فقد فوجئوا بأسد يتقدم من

إحدى الغرف، ويقف أمامهم في الصالة، ويتأهب للوثوب عليهم!!

***

تسمَّر الجميع في أماكنهم لمدة تجمّد فيها الدم في عروقهم، ولكنهم فوجئوا بجلبهار تطلق ضحكة مرتفعة وتقول:

لقد تم خداعكم!

فراحوا جميعًا يوزعون النظر بين جلبهار وبين الأسد الذي وقف متأهبًا للانقضاض عليهم، ثم تحول رعبهم إلى ذهول تام. وبعد عدة ثوانٍ، بادرت جلبهار قائلة وهي تنهض من مقعدها:

هل أعجبكم هذا الاختراع؟

نظر الجميع إلى الأسد الذي وقف على قدميه الخلفيتين، مستعدًا للوثوب عليهم وهم لا يصدقون، فقد كان يتحرك وكأنه أسد حقيقي، فأردفت قائلة:

إنه عمل من صنعي.

جعل كل منهم ينظر إلى الأسد وهم في دهشة شديدة،

وسألتها لمياء، وهي لا تصدق، بينما ما زالت قسـمات وجهها تشي بمدى ما هي عليه من رعب:

لقد اعتقدنا أنه أسد حقيقي، فهل أنتِ ساحرة يا جلبهار؟!

قالت جلبهار:

لا طبعًا، فإن هذا هو أحد اختراعاتي. هو أسد مُحنَّط، ولكن يوجد بداخله برنامج من صنعي أنا!

وما أن عاد طلال إلى صوابه، حتى سألها في دهشة وهو ينظر إلى الأسد غير مصدق:

كيف ومتي قمتي بذلك يا جلبهار؟!

أجابت جلبهار وهي تنظر إلى الأسد الذي وقف على أقدامه الأربعة مرة أخري وارتد عائدًا:

لقد قرأت في مجلة علمية تفاصيل برنامج إنسان آلي خاص بأسد، فاشتريت أسدًا محنَّطًا من بعض المحال، وقمت بإخضاعه للبرنامج، حتى استطعت أن أجعله يبدو

وكأنه أسد حي كما ترون.

تبادل الجميع النظر إلى بعضهم البعض وهم لا يصدقون أن تصل فتاة لم تتعد الخامسة عشر من عمرها إلى هذه الدرجة من العبقرية!

علَّق الحاج فاضل قائلاً وهو لا يصدق:

إن جلبهار لو استمرت علي هذه الحال، فسيكون لها شأن كبير في دنيا الاختراعات خلال بضع سنوات!

بيد أنه وبعد عدة أيام، طلب عميد الكلية من هيئة التدريس ومن الطلبة الاجتماع لأمر مهم، وأخبرهم بأن جمعية نهضة العرب، والتي هي وراء تأسيس كلية الصيدلة العربية، ستعقد اجتماعًا مهمًا في فندق هيلتون رمسيس بمدينة القاهرة.

لاحظ العميد أن وجوه الجميع قد ران عليها الضيق والوجوم؛ حيث إنهم كانوا جميعًا في حالة انشغال تام بالأبحاث، فأردف قائلاً:

أنا أعرف ظروفكم جميعًا، ولكن أنتم جميعًا تعرفون مدى أهمية هذه الجمعية بالنسبة لنا؛ فهي التي تدعم كليتنا، ونحن نُعتبر الممثلين لها في مصر، ولذا يجب أن نكون أول من يحضر هذا الاجتماع، وعلينا أن نشارك في إعداد ترتيبات الحضور.

اضطرت إدارة الكلية إلى إرسال عدد كبير من الطلبة لحضور الاجتماع، وكان الأصدقاء الستة من ضمن المختارين، فوجدوها فرصة سانحة لزيارة مدينة القاهرة مرة أخرى.

علَّق طلال في سعادة:

لقد حانت الفرصة لكي أشاهد شقيقتي جلبهار مرتين في أسبوع واحد فقط!

إلا أنهم ما كادوا يراجعون برنامج الاجتماع، حتى ظهر لهم أنه برنامج مزدحم بالعمل تمامًا طوال أيامه الثلاثة، منذ الصباح الباكر وحتى نهاية اليوم، ولا تتخلله

إلا ساعة واحدة لتناول وجبة الغذاء.

بادر رئيس الجمعية- وهو فلسطيني الجنسية- قائلاً في كلمة الافتتاح:

أنتم تعرفون أن هدف هذه الجمعية هو نهضة العرب وتقدمهم، من خلال تأسيس كل المشروعات التي تؤدي إلى النهوض بهم، ويتمثل ذلك في الالتقاء بين أقوى الأفكار المقدمة للجمعية، وبين الموارد المالية والبشرية والبيئية.

توقف الرجل عن الحديث، فسأله أحد الموجودين في حيرة:

ولكن البرنامج المكتوب لا يوضح شيئًا عن هذا الاجتماع، فمعظم عناوين البرنامج بمثابة ألغاز لم نفهم منها شيئًا!

أومأ رئيس الجمعية برأسه مؤكدًا، وقال:

فعلاً؛ لأن هذا الاجتماع هو أخطر اجتماع ستعقده

الجمعية، ولذلك فضّلنا ألا يكون واضحًا لمن هم خارج الجمعية، فهو بخصوص مشروع يمثل نجاحه قفزة هائلة للعالم العربي في دنيا التقدم.

أمسك عن الحديث برهة، ولم يلبث بعدها أن أردف قائلاً، وهو يجيل النظر بين الجميع:

أما لو فشل- لا قدر الله- فإن العالم العربي بأكمله سيصاب بنكسة هائلة.

سادت بين الجميع لحظات من الدهشة والحيرة والترقب، وراح البعض منهم يتزاحمون للوصول؛ لمعرفة ما هو هذا المشروع الخطير.

سأل أحد الموجودين في دهشة ولهفة:

وما هو هذا المشروع الخطير؟

ففوجئ الجميع برئيس الجمعية يجيب قائلاً:

المشروع هو شراء كل العباقرة والنابغين الموجودين

**في العالم!**

**فراح الجميع ينظرون إلي بعضهم البعض في ذهـــول تام!!**

***

انتابت جميع الحاضرين حالة من الوجوم التام، وهم يحدقون في وجه رئيس الجمعية بدهشة شديدة، ومــرت فترة صمت طويلة، قطعها أحد الحاضرين وهــو يســأل مستغربًا:

ماذا تقول سيادتك؟! إنني لا أصدق!

هل يمكن هذا؟! شراء العباقرة والنابغين في العالم!!

وقال آخر، وهو لا يصدق:

هل يُعقل هذا؟! إنني لا أصدق ما أسمعه! هل سنعود مرة أخرى إلي عصر العبودية؟!

ظل الجميع مثبِّتين نظرهم علي وجه رئيس الجمعية، منتظرين أن يسمعوا منه تفسيرًا لهذا الأمر الغريب، وهم على أحرّ من الجمر.

وهنا تحدث رئيس الجمعية قائلاً بصوت هادئ:

أنتم تعرفون أن هناك ظاهرة تسود العالم الآن، وهي ظاهرة العولمة، والتي تعني- باختصار- أن العالم أجمع ستتقارب كل ثقافاته وشعوبه، حتى يصير بمثابة قرية واحدة.

فصاح أحد طلبة الكلية محتجًا:

ماذا تقول؟! هل العالم في طريقه إلى التقارب، بالرغم من كل هذه الصراعات التي تشتد فيه؟!

قال رئيس الجمعية:

نعم.. إن العالم يقترب من بعضه، بالرغم من زيادة التوتر والصراعات؛ وذلك لأن التطور الهائل في وسائل الاتصال قد جعل العالم كله على اتصال ببعضه.

انظروا- مثلاً- إلى التطور في عالم الاتصال! لقد نتج عن ذلك أن علماء العالم في كل مجال، في حالة اتصال دائم مع بعضهم البعض كل ساعة، بل كل ثانية! يستطع الواحد منهم وهو جالس أمام حاسبه الإلكتروني الاتصال

من خلال شبكة الإنترنت بـأي عـالم آخـر بالصـوت والصورة؛ ليتناقشا في نقطة علمية جديدة.

توقف برهة، وجعل يجيل النظر في وجوه الجميـع، قبل أن يُردف قائلاً:

ويستطيع التاجر من أي بقعة فـي العـالم، شـراء بضاعة من دولة أخرى، بعد أن يشاهدها معروضة علي شاشة الكمبيوتر، فتتم الصفقة في الحال، والتي كانـت تقتضي منه في السابق السـفر بالطـائرة، والإقامـة، وحضور المعارض وغيرها، وهو ما يُسـمى بالتجـارة الإلكترونية.

سكت الجمعية للحظات، فتدخل عضو مـن أعضـاء الجمعية قائلاً:

كما نجد بأمريكا وأوروبا وكندا وأستراليا عمالة مـن العالم أجمع! بل إن معظم علماء هذه الدول من أنحـاء العالم أجمع، والأكثر من كل ذلـك الشـركات المتعـددة

الجنسيات.

علق أحد الطلبة في حيرة:

شركات متعددة الجنسيات!!

أجاب الرجل قائلاً:

نعم.. هي شركات ليست لها جنسية خاصة بدولة ما، بل إنها تُقام في العديد من الدول، فنجـد- مـثلاً- إدارة الشركة في الولايات المتحدة، وإدارات التوزيع الخاصـة بها موجودة في دول آسيا بأكملها، وهكذا. إن كل شركة من هذه الشركات تحوي عشرات- بل ومئـات الآلاف- من العمال، ورؤوس أموالها أكبر من رؤوس أموال كل دول العالم، وعدد هذه الشركات يقترب من الألف شركة.

وسكت الرجل برهة، ثم أردف قائلاً:

تخيلوا كم يبلغ عدد العاملين في هذه الشـركات مـن جميع أنحاء العالم! وهذه الشـركات هـي التـي تنـتج الصناعات المتقدمة جدًا، كالطائرات، والسفن الضـخمة،

وغيرها من الصناعات العملاقة، حيث إن الدول لا تستطيع أن تُقدم على هذه الصناعات العملاقة.

عقّب أحد أعضاء الجمعية قائلاً:

كما أن هذه الشركات تكون في شكل أسهم، يشترك في شرائها أي فرد من جميع أنحاء العالم.

فصاح أحد العاملين بالفندق، وقد كان واقفًا يستمع لما يُقال:

يا الله! معنى ذلك أننا من الممكن أن نساهم في جميع هذه الصناعات الحديثة. يا خبر! هذا يعني أن الملايين من علمائنا العرب، ومئات الآلاف من أموالنا، مشاركة في كل الصناعات المتقدمة في العالم أجمع.

نظر إليه العضو، وأومأ برأسه مؤكدًا:

صحيح!

وأضاف قائلاً:

ألا تلاحظون أن جميع أندية العالم في جميع الألعـــاب تحوي الآن لاعبين مغتربين، فاللاعب البرازيلي يلعب في أوروبا وأمريكا الشمالية، بل وفي الـــبلاد العربيـــة. إن معظم الدول الأوروبية لديها لاعبون أفارقة وأمريكيـــون وآسيون.

تدخل عضو آخر من أعضاء الجمعية مذكِّرًا:

ألا يدل ذلك على أن العالم قد بدأ يذوب فـــي بعضـــه البعض؟

فأجاب أحد الحاضرين:

نعم.. هذا موجود بالفعل.

فأضاف عضو آخر من أعضاء الجمعيـــة- ســـوري الجنسية- يُدعى أمين الحلبي:

أما من الناحية الثقافية، فثقافات العالم تقتـــرب مـــن بعضها.

تساءل أحد الموجودين في تعجب:

هل هذا معقول؟!

أجاب أمين الحلبي مؤكدًا:

نعم.. أنظروا مثلاً إلي الكتب العالمية التي تُتَـرْجَم- سواء من الدول المتقدمة أو حتى النامية- يتم تـداولها في جميع أنحاء العالم.

انظروا إلى القنوات الفضائية التي جعلت الفرد يشاهد القنوات الأجنبية مثلما يشاهد القنوات المحلية.

وفجأة، تدخل أحـد الأعضـاء، وهـو أسـتاذ لعلـم الاجتماع، قائلاً:

تصوروا- مثلاً- أن لغات العالم بعد خمسـين عامًـا مثلاً، ستصير متقاربة، حتى تبدو كلغة واحدة!

فقال آخر معترضًا، وهو لا يصدق:

ماذا تقول؟! هل سيحدث هذا؟

أجابه عالم الاجتماع قائلاً:

انظروا معي إلي ما يحدث في العالم، ففي كل ساعة تُستحدث مئات المعلومات، وكل معلومة من هذه المعلومات تكون باللغة التي يتناولها العالم. كل يوم تُستحدث مائة كلمة مثلاً باسم واحد، يُسجل لدى العربي والصيني والألماني والهندي، مثلما يُسجل لدى الأمريكي والفرنسي والياباني، فالكلمات الجديدة التي ستُضاف إلى لغة العالم خلال الخمسين عامًا القادمة مثلاً، ستكون أكثر من الكلمات المحلية، أي أن العالم سيتحدث بلغة شبه واحدة بعد حوالي خمسين سنة.

راح كل الجالسين يفكرون في هذا الأمر، فتدخل أستاذ مصري في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية قائلاً:

والأكثر من كل ذلك، أن العالم كله لن تحكمه الحكومات العادية.

راح عدد كبير من الموجودين يتساءلون مرة واحدة،

وهم لا يصدقون:

ماذا تقول؟!

ففوجئوا بالرجل يقول:

بل ستحكمه حكومة واحدة.

فنظر الجميع إلى بعضهم البعض في ذهول!!

***

ظل جميع الحاضرين في حالة من الدهشة الشـــديدة، وكانوا جميعًا يفكرون، وهم في حيرة من هذا الأمر: هل سيكون العالم أجمع تحت حكـــم واحـــد، وكأنـــه دولـــة واحدة؟!

فتساءل أحد الحاضرين مستنكرًا:

ماذا تقول يا دكتور؟! هل سيصير العالم أجمع كدولة واحدة تحكمها حكومة واحدة؟ من أين توصلت إلي هذه الحقيقة؟

تطلعت أنظار الجميع وتعلقت بمـــا ســـيقوله أســـتاذ الاقتصاد والسياسة المصري، فأومأ برأسه مؤكدًا، وقال:

نعم.. إننا إذا نظرنا من حولنا، نجد أن العالم أجمع قد صارت تحكمه منظمـــات مختلفـــة، فمنظمـــة الأغذيـــة والدواء- مثلاً- تسن كافة القوانين الخاصـــة بالأغذيـــة والدواء، فلا يتم التوصل إلي دواء جديد، إلا لو أجازتـــه

هذه المنظمة، ومنظمة التجارة العالمية هي التي تحكم نوعية التجارة، وتسن اتفاقات التجارة المختلفة، كاتفاقية الجات، وكذلك يتحكم الصندوق والبنك الدوليان في السياسيات المالية لدول العالم أجمع. وقد برزت في الآونة الأخيرة منظمات لا تخضع لحكومة واحدة، بل هي منظمات عالمية، مثل منظمات حقوق الإنسان، كمنظمة العفو الدولية، والمنظمات النسائية العديدة، وغيرها. ففي كل مرة ينسحب- كما يُقال- البساط من تحت حكومة كل دولة، بخصوص أمور محددة، فلو استمر الأمر على ذلك، فإنه سيؤول إلى مجموعة من المنظمات لحكم كل شيء في العالم.

توقف الدكتور لثوانٍ، والكل ينظر إليه وهم لا يصدقون ما يحدث! هل يمكن أن يصير العالم دولة واحدة؟!

وهنا تساءل أحد الموجودين قائلاً:

ولكن، هل سيستسلم العالم أجمع لهذه الظاهرة؟ وهل

سيرضى العالم المتقدم أن يتوحد مع العالم المتخلف، فيصيران كدولة واحدة؟ وهل سترضى دولة مثل الولايات المتحدة، أن ترضخ لوجود دولة أخرى فقيرة ومتخلفة معها في حكومة واحدة؟!

فتدخل رئيس الجمعية قائلاً:

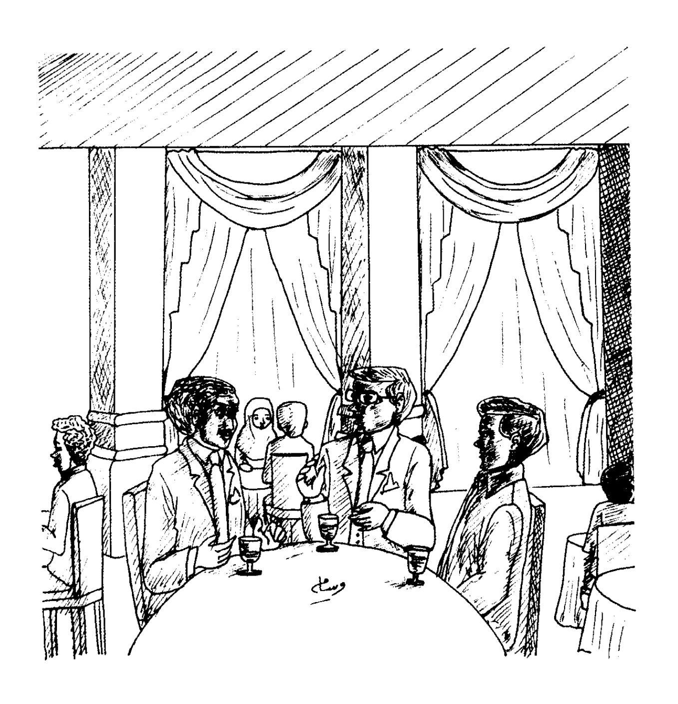
بالطبع لا، فإن هناك صراعًا بين دول العالم المتقدم والعالم النامي، من أجل أن تكون ظاهرة العولمة في صالحهم، ولا تؤول إلى حكومة واحدة تحكم العالم.

سأله الرجل في حيرة:

يا الله! وكيف ذلك؟!

أجاب أستاذ الاقتصاد والسياسة:

إن دولة كالولايات المتحدة مثلاً، تحاول أن تجعل ظاهرة العولمة لصالحها، من خلال ما يُسمي بالأمركة، وهي تعني: تغيير رغبات العالم كله ليصير مستهلكًا لكل ما تتميز به أمريكا. انظروا مثلاً إلى الملابس، نجد أن



**هناك صراع بين الدول المتقدمة والعالم النامى**

أمريكا تحاول أن تجعل السائد بين ملابس الشباب هو الجينز، والذي تتفوق في صنعه، أو أن تجعل شباب العالم يقتنع بأن أعظم حذاء يرتديه في قدميه هو الكوتشي، وهو أيضًا ما تتميز به الولايات المتحدة، أو أن تجعل دول العالم في حالة صراع؛ فتضطر إلى شراء أعتى وأفتك الأسلحة، والتي تتميز بها أمريكا. وأمريكا قادرة على إثارة مشكلة عالمية، مثل تلوث الهواء، فتجعل المنظمة الدولية المسئولة عن ذلك تسن القوانين لحماية البيئة. ومن هنا تقوم الولايات المتحدة بتجهيز نوعية الأجهزة التي تعمل على تنقية الهواء، والفلاتر التي تحول دون التلوث في المصانع، وأيضًا لا تفتأ- بين حين وآخر- أن تجعل العالم يلهث وراء الجديد في عالم الإنترنت، وهي التي تسيطر على معظم ما يُستحدث من برامجه.

ولما توقف الأستاذ عن حديثه، عقّب أحد أعضاء الجمعية قائلاً:

ولذلك استغلت الدول المتقدمة ظاهرة العولمة، فسعت نحو وضع فكرة اتفاقية الجات، والتي تهدف إلى تيسير انتقال التجارة بين دول العالم أجمع، من خلال إلغاء القيود الجمركية، أو تخفيضها إلى أبعد الحدود؛ لأن ذلك سيكون في صالحها هي، حيث إنها تمتلك المنتجات الصناعية القادرة علي غزو كل أسواق الدول النامية، كما تسعى إلى جعل ظاهرة العولمة في صالحها، وبذلك تغزو العالم اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا.

سادت فترة صمت، راح الجميع يفكر خلالها في ظاهرة العولمة هذه، فصاح أحد الحاضرين فجأة، قائلاً في خوف شديد: معنى ذلك أننا لو انتقلنا لظاهرة العولمة هذه، لتم القضاء علينا تمامًا!

فجعل الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض في دهشة واستغراب!!

***

ظل جميع الحاضرين ينظرون إلى أعضاء الجمعية وهم في حيرة، فتدخل أحد الأعضاء قائلاً:

يا جماعة! إن العولمة هي اتصال أجزاء العالم ببعضها، بصورة ستجعل كوكب الأرض وكأنه مجرد قرية صغيرة، فتنتقل العمالة إلى كل مكان في العالم، وينتقل رأس المال إلى كل مكان، ويصير سوق كل دولة سوقًا لكل دول العالم، وتنتقل ثقافة كل دولة إلى دول العالم أجمع.

توقف الرجل لبرهة، فلما وجد الجميع ينظرون إليه في لهفة، لم يلبث أن أردف قائلاً:

سيكون هناك أمر يحكم ذلك.

سأله آخر في لهفة:

وما هو؟

أجاب العضو:

إن طبيعة الإنسان هي انتقاء الأفضل والأصلح، فإذا وجد في السوق سلعة أجود من غيرها وأرخص، فلا شك أنه لن يتردد في شرائها دون غيرها، فالسلع التي تُنتج بكميات ضخمة، ومن خلال العلم والتكنولوجيا العالية، لا شك ستكون هي الأجود والأرخص، ولذلك ستغزو كل الأسواق، وتجعل الدول الأخرى، وخاصة الدول النامية، لا تجد لسلعها مكانًا، وبالتالي لا يجد العاملون في هذه الدول النامية عملاً!

فسأله أحد الموجودين قائلاً في حيرة:

ولكن، هل الثقافة مثل السلع؟

فقال رئيس الجمعية:

نعم، ولكن بالرغم من أن ثقافة كل شعب تتكون من عاداته وتقاليده ومفاهيمه، فإنه يكون للثقافات الأخرى أثر عليها. قال رجل عجوز وهو لا يصدق:

يا الله! هل هذا معقول؟!

أجاب أستاذ الاجتماع:

نعم؛ لأن الدول المتقدمة تستغل هذا الأمر لصالحها تمامًا. انظروا مثلا إلى فكرة التقدم. إنها- بلا شك- فكرة رائعة، فما من فرد في الدنيا إلا ويؤمن بها، ويجد أن التطور هو الأمر الطبيعي، وهنا تبرز الدول المتقدمة مفهوم التقدم كعنوان لكل شيء تصبو إليه.

سأل أحد الموجودين في دهشة!

وكيف ذلك؟

أجاب أستاذ الاجتماع:

يقع في خلد الفتاة- مثلاً- أن التحرر من أسر العائلة، وارتداء كل ما يبرز مفاتنها، ويتيح لها علاقات بالشباب، تحت ساتر اسمه التقدم، وبذلك تعيش الفتاة- من وجهة نظرها- في أسعد حياة! إنها الحرية التي تصبوا إليها، لشعورها بأنها فتاة متقدمة! وهذه الحرية

لا نراها إلا في عادات وتقاليد الدول المتقدمـــة نفســـها، وبذلك تنتقل عادة- وهي سمة من سمات الثقافة- مـــن دولة إلى أخرى بسهولة.

سأل أحد الموجودين في حيرة:

يا الله! وماذا نفعل نحن إزاء ظاهرة العولمة الخطيرة هذه؟ هل سنصمت عليها حتى يغزونا الآخرون في عقر دارنا بسلعهم وثقافاتهم؟! ألا يوجد لدينا أمل؟

تدخل رئيس الجمعية قائلاً: بل يوجد أمل كبير.

فسأله العديد من الموجودين في لهفة: وما هو؟

أجاب رئيس الجمعية في تأكيد:

إننا نستطيع أن نجعل العولمة في صالحنا نحن، فـــلا نجاريهم فقط، بل نتغلب عليهم.

فنظر الجميع إلى بعضهم البعض في دهشة شديدة!!

***

راح الجميع في حالة من الصمت، وهم ينظرون إلى رئيس الجمعية، ولا يصدق أحد منهم ما يسمع، وظلوا على هذه الحال لمدة، وأخيرًا تساءل رجل أعمال أردني الجنسية في حيرة:

وكيف نستغل ظاهرة العولمة لصالحنا، ونحن لا توجد لدينا الإمكانيات؛ من مستوى علمي، وصناعات متقدمة منافسة لصناعات الدول المتقدمة؟ وحتى لو ظهر لدينا عبقري أو نابغ، فإنه سرعان ما ينجذب إلى مناخ هذه الدول المتقدمة بإمكانياتها التي تتيح له الإبداع، ولا نستطيع السيطرة على أجهزة إعلامهم لنشر ثقافتنا!

تدخل أحد الموجودين، وقال مؤكدًا:

لك الحق يا أستاذ عكرمي، ولكن للأسف فإن الناس يستجيبون دائمًا لأفكار من هو ناجح ومتقدم فقط، فكيف يستجيبون لنا ونحن الأضعف والأقل تقدمًا؟!

قال رئيس الجمعية في ثقة:

من المعروف أننا نعيش في عصر المعلومات، وهذا يعني أن المعلومات والأفكار ستكون أساس كل شيء، وخاصة الصناعة. وحيث إن السلعة في الأصل سيكون أساسها العلم والفكر، فإن خمسة وتسعين في المائة منها سيكون عبارة عن علم وفكر، بينما المواد الخام المصنفة بها لا تتجاوز خمسة في المائة. إن أساس كل شيء سيكون قوامه العلماء وأهل الفكر، فالدولة التي ستمتلك ناصية العلم والفكر، هي الدولة التي ستسود العالم.

تدخل أحد الأعضاء وقال:

يا الله! بذلك ستكون الدولة المتقدمة لها خمسة وتسعون في المائة من قيمة السلعة، أما الدول النامية فلن يزيد دخلها إلا على قيمة المادة الخام، وهي خمسة في المائة، وبذلك يكون الدخل هو خمسة وتسعون في المائة للدول المتقدمة، أما الدول النامية فلن يزيد دخلها

عن خمسة في المائة.

صاح أحد الجالسين وهو لا يصدق:

يا خبر! إن الفرق سيكون شاسعًا!

قال رئيس الجمعية: فعلاً! ولذلك فإن الصراع القادم، سيكون قائمًا على مراكز الأبحاث التي تحوي أكبر عـــدد من العلماء وبنوك الأفكار.

وصمت برهة، ثم هز رأسه مؤكدًا، وأردف قائلاً:

ومن هنا، فإننا إذا أردنا الدخول في حق ترك الصراع من أجل المنافسة، فالأمل الوحيد هو أن يتوفر لدينا أكبر عدد من العلماء والعباقرة والنوابغ.

سأله أحد الحاضرين في دهشة:

وهل هذا يقتضي شراء العباقرة والنوابغ كما ترون؟

أجاب رئيس الجمعية:

لا، بل إننا سوف نقوم بدور يقترب من الدور الـــذي

تقوم به أمريكا وأوروبا وأستراليا وكندا.

فلما نظر إليه الجميع في حيرة، أردف مفسرًا:

إذا اتفقنا أن العباقرة والنوابغ قد صاروا قوام أي دولة، سواء كان النوابغ والعباقرة من أبناء الدولة، أم من دول أخرى، فإن ذلك يؤكد أن العلم والفكر- كما يُقال- لا وطن لهما.

فسأله أحد الحاضرين: ولكن، ما هي فكرة هذا المشروع؟

قال رئيس الجمعية:

إن فكرة هذا المشروع قوامها أننا طالما تأكدنا من أن العباقرة والنوابغ يمثلون ثروة لدى الدولة التي ينتقلون إليها، فإننا لن نقف فقط على الاعتماد على العباقرة والنوابغ العرب، بل سنعتمد أيضًا على شراء العباقرة والنوابغ الموجودين بأي دولة نامية، ولكننا لن نعمل مثل الدول المتقدمة على اجتذاب العباقرة والنوابغ بعدما

يظهرون في الدول الأخرى، ولكن سنعتمد على النابغين والعباقرة من الأطفال بالدول النامية نفسها.

سأل أحدهم في حيرة: وكيف يتم ذلك؟

أجاب رئيس الجمعية: إن دورنـــا هـــو أن نكتشـــف موهبة العباقرة أو النوابغ في الدول النامية منذ الطفولة، ثم نقوم بإنشاء مدارس في نفس البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الأطفال، وذلك بالتعاقد مع أولياء أمورهم، علـــى أن نقوم بتكليف هؤلاء بالعمل بعد التخرج، وبعد ظهـــور نبوغهم وعبقريتهم، ويحصلون خلال عملهم على الأجر المتعارف عليه عالميًا.

وفجأة، تدخل أحد الحاضرين قائلاً في تحذير وغضب شديدين:

لا! إن ذلك يؤدي بنا إلي رِدَّة شديدة، فسنعود بـــذلك إلى عصر العبودية والرقيق الأبيض!!

***

راح الجميع ينظرون إلي الرجل في دهشـــة شــديدة، ولكن رئيس الجمعية تدخل على الفور مدافعًا:

لا يا سيدي، فإننا أبعد ما نكون عن العبودية، فدورنا هو اكتشاف هؤلاء العباقرة والنابغين في هذه الدول، ثم وضعهم في مدارس نقوم بتأسيسها؛ لإرساء المناخ الــذي يجد فيه كل نابغ أو عبقري نفسه، كما نهيئ لكل مــنهم النشاط الذي يبرز فيه من أجهــزة كمبيــوتر، ومعامــل مجهزة، ومكتبات للبحث والإطــلاع، ووســائل ســمعية وبصرية لتعينه على العملية التعليمية.

وما كاد الجميع يفكر في حديث رئيس الجمعيــة، إذا بالرجل يواصل هجومه قائلاً:

إننا لذلك نستغل ظروف هؤلاء العبــاقرة والنــابغين، بوضعهم في مدارسنا ومعاملنا، وتسخير كل الإمكانيــات اللازمة لهم، مقابل مدة تكليف طويلــة لصــالحنا، فمــا

الفرق بين شراء العبيد واستغلالهم، وبين ما نفعله؟

أثار حديث الرجل جَلَبة بين جميع الحاضرين؛ فتدخل نائب رئيس الجمعية قائلاً: لا.. ليست هذه أهدافنا أيها السادة.

ولما توقف الجميع عن الاعتراضات، وجعلوا ينظرون إليه متسائلين، أردف قائلاً: انظروا معي إلى مثال يوضح صحة موقفنا: إن الدول العربية لم تكن لديها أموال ولا أي إمكانيات قبل اكتشاف البترول، ثم جاءت شركات الدول المتقدمة، وعملت من خلال إمكانياتها وأجهزتها وآلاتها العملاقة على اكتشاف البترول. إنها لم تستخرج هذا البترول، والموجود في باطن أراضيها، إلا من خلال تكنولوجيا الدول المتقدمة، ففازت الدول العربية بقيمته، مقابل حصة من هذه الثروة لدول القائمة باستخراج البترول واكتشافه.

سكت الرجل برهة؛ ليتيح للجميع فرصة للتفكير في الأمر، ثم عاود حديثه قائلاً: وكذلك نفعل نحن. إننا

نكتشف هؤلاء العباقرة والنابغين، والذين لن يظهروا في هذه الدول النامية، ونقوم بتهيئة المناخ لهم، حتى يصيروا عباقرة ونابغين حقيقيين، فتستفيد بلادهم منهم كما نستفيد نحن، فلولانا لما تم اكتشاف هؤلاء، ولما استفادت منهم دولهم، كما ستستفيد البشرية أجمع بوجود مئات الآلاف من النوابغ العلماء الذين يضافون إلي علماء ونوابغ العالم.

رانت لحظات صمت، راح الجميع خلالها يفكرون في هذا المشروع الكبير، وقطع الصمت أحد الحاضرين قائلاً في حماس وإعجاب شديدين: تصوروا لو وجد لدينا الملايين من هؤلاء العباقرة والنوابغ من أبنائنا ومن أبناء الدول النامية، لاستطاعوا أن يصلوا بنا إلى ما وصلت إليه الولايات المتحدة نفسها!

فعلق أحد الحاضرين في إعجاب: فعلاً! إنه سيكون أخطر مشروع في تاريخ العرب!

وبعد أن انتهى الاجتماع، وصلت عدة سيارات كبيرة

كانت الجمعية قد استأجرتها لنقل جميع الحاضرين إلى أماكنهم، أما الأصدقاء، فقد خصصت لهم الكلية سيارة لتقلهم مع زملائهم إلى مدينة مرسى مطروح، حيث توجد كليتهم. انتهز حمدي الفرصة ليبيت بمنزله وسط أسرته، وما أن غادر الأصدقاء، سار حمدي على قدميه، ليستعيد ما كان يدور في الاجتماع، ويملأ صدره بنسيم الليل الصافي، وبعبير الزهور التي كانت تملأ الجو المحيط بحديقة الفندق برائحتها الذكية.

ما أن وصل حمدي إلى منزله، حتى فوجئ بوالدته وشقيقته تقفان أمام المنزل، باديًا عليهما الذعر الشديد؛ فأسرع إليهما حمدي، وما كادتا تشاهدانه، حتى انفجرت أمه في البكاء؛ فسأل حمدي في جزع: ماذا حدث؟!

وإذا بشقيقته تبادره قائلة: لقد اختُطفت جلبهار!!

* * *



**لقد اختطفت جلبهار يا حمدي**

وقف حمدي مشدوهًا لثوانٍ، ولكنــه مــا أن تمالــك نفسه، وسألها في لهفة وهو لا يصدق:

ولكن، كيف حدث ذلك؟!

أجابت والدته بين شهقاتها:

جاءت مكالمة تليفونية إلى والدك يقول صــاحبها: إن سيارة احتكت بسيارته التي تقف على ناصية الشــارع، وما أن غادر المكان مسرعًا؛ ليعرف مــاذا حــدث، إذا بمجموعة من الرجال اقتحموا المنزل فجــأة، وهــددونا بالسلاح، وقاموا باختطاف جلبهار بالقوة.

سألها حمدي، وهو في حالة من الذهول:

ولكن، أين والدي؟!

أجابته شقيقته، وهي تحاول أن تتماسك:

لقد ذهب إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن الحادث.

انتابت حمدي حالة من الحزن العميق؛ فجلبهار هـي شقيقة طلال الوحيدة، وهي بمثابة أمانة لـديهم. فكـر حمدي في إبـلاغ طـلال، فيُحتمـل أن يكـون هـؤلاء المختطفين بينهم وبين والدها عداوة.

وصل الخبر إلى والد جلبهار؛ فأُصيب بانهيـار مـن فرط الصدمة واللهفة على ابنته، وقال: إنه لا يوجد لـه أعداء، والغريب أن ابنته لا علاقـة لهـا بأحـد، فهـي منطوية على نفسها دائمًا، ولا شاغل لديها سوى شراء الكتب والأدوات الخاصة بتجاربها، ومتابعة الجديد فـي العلم من خلال شبكة الإنترنت.

وكان رجال المباحث قد علموا مـن الحـاج فاضـل بالخبر، فجمعوا كل الرجال المشتبه فـيهم، وأصـحاب السوابق، وعرضوهم على والـدة حمـدي وشـقيقته، ولكنهما لم يجدا بينهم أحدًا من المختطفين.

شعر حمدي بأن الحياة السعيدة التي كان يعيشها قـد تبدلت تمامًا بأيام شقاء وعذاب، ووجد نفسه مسئولاً عن

اختطاف شقيقة أعز أصدقائه.

كان طلال في حالة من الحزن الشديد، وبعـد تفكيـر طويل قالت لمياء:

من المؤكد أن هناك عصابة وراء ذلك، هدفها طلـب "الفدية"، وهذا يجعلنا على الأقل نطمئن على جلبهار؛ فلا شك أن عصابة مثل هذه قد عرفت بأن والـدها يمتلـك ثروة كبيرة؛ فطمعوا في أمواله، وقرروا خطف ابنته.

سأل جاسر في حيرة:

ولكن، ربما كانوا يطمعون أيضًا فـي ثـروة الحـاج فاضل.

فقالت هادية معترضة:

لا؛ لأنهم لو كانوا يطمعون أيضًا في أمـوال الحـاج فاضل، لقاموا باختطاف ابنته، فهي أمامهم منذ مدة، كما أنها ووالدتها شاهدتا المجرمين وهم يدخلون قاصـدين جلبهار مباشرة.

مرت عدة أيام، كان الأصدقاء خلالها في حالة من الحزن والقلق، وكان كل منهم يحاول مواساة طلال وحمدي، ويفكرون معهما في كيفية الوصول إلى حل لهذه المصيبة التي ألمَّت بهما، كما كانت النيابة والمباحث في مصر قد استدعت والد جلبهار مرارًا بعدما حضر إلى مصر؛ للحصول منه على أية معلومات تفيد في البحث عن جلبهار، وقاموا باستدعاء طلال أيضًا، ولكن المعلومات التي حصلوا عليها منهما كانت لا تفيد في شيء، فعلق رئيس المباحث، بعدما حصل على كافة المعلومات:

من المؤكد أن العصابة موجودة هنا، وليس لها علاقة بالسعودية.

ولما سأله الحاج فاضل في لهفة عن السبب، قال مؤكدًا:

لأنني علمت من والد جلبهار أنه كان يترك ابنته بمفردها طوال الوقت، فهو دائم السفر، وشقيقها طلال

موجود بمصر، فإذا كانت العصابة المختطفة من أبناء السعودية، أو تابعة لأحد أعوانه هناك، فكان من باب أولى اختطافها وهي بمفردها هناك، وألا ينتظرون حتى تأتي إلى مصر وتعيش وسط أسرة حمدي ليختطفوها!

وما أن مرت عدة أيام، إذا بعميد الكلية يستدعي الأصدقاء، ولم يلبث أن حضر رئيس المباحث أيضًا. كان واضحًا على عميد الكلية الدهشة الشديدة، فلما سأله رئيس المباحث في لهفة: ماذا حدث؟

مدَّ عميد الكلية يده، وناول رئيس المباحث ورقة مطوية، وما أن فردها رئيس المباحث وألقى عليها نظرة، حتى صاح وهو لا يصدق: يا الله! هذا غير معقول!

فقام حمدي من فوره، وتناول الورقة من رئيس المباحث، وقرأ الآتي: "لقد تمت العملية بنجاح، والفتاة تم اختطافها، وهي موجودة بحيازتنا. إنها فتاة عبقرية،



لقد تمت عملية اختطاف جلبهار بنجاح

ووالدها يمتلك مئات الملايين من الدولارات، وهـذه الثروة موضوعة في دول عديدة من العالم، وتصل إلـى تسعمائة مليون دولار، كما قدرها خبراؤنا الماليُّون. أما باقي المستهدفين فجاري حصر ثرواتهم".

جعل رئيس المباحث يُمعن النظر لمدة طويلـة فـي الخطاب، ثم سأل عميد الكلية، وهو في حيرة شديدة:

إن هذا الخطاب في غاية الدهشة، فمرسله يخبرك يا دكتور بالأمر، وكأنك شريكه في عملية الاختطاف!

ففوجيء رئيس المباحث بالعميد يقول:

ولكن من الواضح أن الخطاب قد وصلني بالخطأ، فقد كان مرسلاً على عنوان فندق الهيلتون بالقاهرة. وهـذا يعني أنه مرسل إلى فرد آخر يحمل نفس اسمي.

سأله جاسر في دهشة: ماذا تقول يا سيادة العميد؟!

فأومأ العميد برأسه مؤكدًا وقال: إن هناك فردًا كـان موجودًا بفندق هيلتون يحمل نفـس اسـمي "بومضـير

الهواري"، ومن المؤكد أن الخطاب كان موجهًا إليه.

قال رئيس المباحث وهو في حيرة شديدة:

إن ذلك يدل على أن هذ الرجل هو أحد أعضاء العصابة، وقد أخطأ رجل الاستقبال في الفندق، واعتقد أن الخطاب لك أنت!

توقف رئيس المباحث، وتساءل فجأة:

يا الله! ولكن من هو هذا الرجل؟!

ففوجئ الجميع بالعميد يقول:

للأسف! إنه عضو في جمعية نهضة العرب.

فصاح رئيس المباحث وهو لا يصدق:

يا الله! معنى ذلك أن جمعية نهضة العرب قد فعلت ذلك للاستيلاء على أموال العرب أنفسهم.

فنظر الأصدقاء إلى بعضهم البعض في ذهول!!

***

اجتمع الأصدقاء الستة في كافتيريا الكلية مرة أخرى، وكانوا جميعًا في حالة من الحزن المشوب بالخوف، وكان حمدي في غاية الحرج؛ لأنه كان يشعر دائمًا بأنه السبب في عدم المحافظة على شقيقة طلال.

اندفعت لمياء قائلة في حزن ويأس: إنني لا أصدق ما يحدث أبدًا! جمعية نهضة العرب، والتي كانت أملنا في النهضة، هي التي يصدر منها كل ذلك؟!

عقَّب جاسر في حزن: وللأسف، فإن الخطاب قد أوضح تمامًا أن الجمعية وراء ذلك، فالخطأ الذي جاء بالصدفة قد أثبت لنا أن هناك جريمة مدبَّرة لخطف عدد كبير من الأثرياء.

بيد أن هادية قالت وهي لا تصدق: ولكن الموضوع بهذه الطريقة يدعو إلى الدهشة والعجب؛ فالجمعية هدفها نهضة العرب، وكان أول مشروع لها هو افتتاح

كلية الصيدلة العربية، فكيف يكون لها أغراض أخرى؟!

فقال وليد في شك: للأسف! إن كثيرًا من الجمعيات تعلن عن أهداف، ولكنها في الحقيقة يكون لها أهداف أخرى.

كان رئيس مباحث مرسى مطروح قد طلب من الأصدقاء ألا يخبروا أحدًا بسر الخطاب الذي وصل إلى عميد الكلية بالخطأ؛ حتى لا يدري رجال الجمعية بذلك، فيأخذون احتياطاتهم، وبذلك يتمكن رجال المباحث من مراقبتهم في بلادهم بسهولة، من خلال الاتصال بإدارة المخابرات في كل البلاد العربية.

وكان رئيس مباحث مرسى مطروح قد سافر لمقابلة رئيس المباحث العامة ليخبره بما حدث؛ لأنه صاحب السلطة في الاتصال بأجهزة المباحث في العالم، حتى يتم وضع خطة لمراقبة أفراد الجمعية، فإذا بخبر غريب يصل إلى إدارة المخابرات، أنه تم اختطاف ثمانية من الأولاد من عدة دول مختلفة، أحدهم من الأردن، وآخر

من اليمن، أما الستة الآخرون فمن دول أفريقية!

بيد أن الأمر الذي أثار الدهشة، هو أن كـــل هـــؤلاء الأولاد يتميزون بين ذويهم بالنبوغ والعبقرية.

عندما بلغ هذا الخبر الأصدقاء، قالت لمياء في فزع:

من المؤكد أن الذي فعل ذلك هم رجال الجمعية، فبدلاً من أن يفكروا في شراء العباقرة، يفكرون في اختطافهم!

أومأ وليد برأسه مؤكدًا وهو في حزن وحيرة:

وللأسف، فأن الخبر يقول: إن الأسلوب الذي تم بـــه اختطاف كل هؤلاء من بلادهم، هو نفس الأسلوب الـــذي تم به اختطاف جلبهار!

فصاح طلال في جزع: معنى ذلك أن شقيقتي جلبهار قد اختُطفت في ظل مؤامرة عالمية كبرى، ولا أمل فـــي إنقاذها!!

***

وجد حمدي نفسه أمام أصعب موقف واجهه في حياته، ليس فقط من خلال شعوره بالحرج أمام طلال، ولكن للصدمة الهائلة في جمعية نهضة العرب، والتي كانت وراء التحاقه بكلية الصيدلة التي يعشقها، ليتضح بعد كل ذلك أن الجمعية ذات أهداف شريرة، وقامت باختطاف شقيقة طلال!

سرعان ما عاد حمدي إلى صوابه، وجعل يفكر في هذا الأمر مرارًا، وفجأة تساءل جاسر مشككًا في موظف الاستقبال الذي قدم الخطاب بالخطأ إلى بومضير الهواري، عميد الكلية:

أليس من المفروض أن يقوم هذا الشاب بتسليم الخطاب إلى بومضير الهواري، وهو المقيم بالفندق، وليس إلى عميد الكلية الذي ليس له علاقة به؟!

جعل الأصدقاء يفكرون في هذا الأمر، فقال وليد وهو

في حالة من الشك:

فعلاً! لو تناول أي موظف استقبال بفندق خطابًا خاصًا باسم أحد النزلاء، وهناك اسم مشابه له، فمن المؤكد أنه سيسلمه للنزيل نفسه.

قالت لمياء في عجلة:

معنى ذلك أنه ربما كان موظف الاستقبال هذا متفقًا مع أحد على إرسال هذا الخطاب إلى عميد الكلية، ليبدو الأمر طبيعيًّا.

وبالرغم من أن الجميع قد اعتبروا أن هذا يمثل شعاع أمل ضئيل أمامهم، إلا أنهم صمموا على أن يسيروا وراء هذا الشعاع الضئيل، فغادروا مرسى مطروح في فجر اليوم التالي، وسافروا إلى مدينة القاهرة. ولم تمر إلا خمس ساعات، حتى كان حمدي وجاسر يقفان أمام موظف الاستقبال، بينما انتظر باقي الأصدقاء بالخارج.



**ربما يكون موظف الاستقبال هو الذى أرسل الخطاب لعميد الكلية**

سأل حمدي عن الشاب الذي ناول الدكتور الخطـــاب، فأجابهم شاب صغير في مقتبل العمر:

أنا.

فقال له جاسر:

إن الخطاب الذي وصلك باسم بومضير الهواري، وقد كان نزيلاً لديكم في هذا الوقت، فلمـــاذا قمـــت بتســـليم الخطاب لعميد الكلية، والذي لم يكن نزيلاً في فندقكم، بل كان نزيلاً في فندق آخر؟

وجد جاسر أمارات دهشة شديدة رانت علـــى وجـــه الشاب، وفجأة قام ينادي على مجموعـــة مـــن الشـــباب الآخرين، فجاءه شاب وفتاة، وسألاه في دهشة:

يا الله! حسام، لماذا تنادينا بهذه اللهفة؟ ماذا حدث؟

فبادرهم حسام قائلاً:

هل تذكران الخطاب الـــذي وصـــلنا باســـم الـــدكتور

بومضير الهواري؟

أجابت الفتاة في دهشة:

نعم، لماذا تسأل؟

قال حسام وهو يشير نحو حمدي وجاسر:

لأن هذين الشابين يريدان أن يعرفا لماذا سلَّمته للسيد عميد الكلية، ولم أقم بتسليمه لرجل كان نزيلاً لدينا.

فوجئ حمدي وجاسر بالشاب الذي يقف مع الفتاة يقول في دهشة:

يا الله! لأن هناك رجلاً جاء وطلب تسليم هذا الخطاب للدكتور بومضير الهواري، عميد كلية الصيدلة العربية.

شعر الصديقان حمدي وجاسر بأن الشاب لا علاقة له بذلك فعلاً، إلا أنهما ما أن غادرا الفندق، وتقابلا مع بقية الأصدقاء، حتى بادر حمدي قائلاً:

يا الله! إن الرجل الذي قام بتسليم الخطاب باسم

الدكتور الهواري، كان من باب أولى أن يسلمه إلى عضو الجمعية؛ لأنه ينزل في الفندق الذي يعمل به، فلماذا يتعمد تسليمه إلى عميد الكلية؟!

قالت هادية في شك:

فعلاً! إن هذا الأمر يدعو إلى الشك، ولكن ماذا نفعل؟

فكر حمدي لثوانٍ، ثم قال:

نذهب إلى مكتب مدير المخابرات العامة؛ فالأمر يحتاج إلى سلطة كبيرة للتوصل إلى معلومات خاصة بهذا الرجل.

وبعد مرور نصف ساعة فقط، كان الأصدقاء أمام مكتب مدير المخابرات، ولكنهما لم يستطيعا دخول مكتبة؛ فقد اعترض طريقهم رجال الأمن، فحاول الأصدقاء المستحيل من أجل أن يدخلوا إلى مكتبه، وقالوا: إن الأمر في غاية الأهمية، ولكن أحد رجال الأمن أصر على ألا يدخلوا إلا بعد أن يبلغا مدير

المخابرات مسبقًا، بيد أنه وأثناء الحوار، فوجئ الجميع بمدير المخابرات يخرج من مكتبه، وكان يبدو عليه أنه يشرع في مغادرة المكان، ولكن لفت نظره زحام الأصدقاء حول رجل الأمن، فسأل في اهتمام:

ما الأمر؟ ماذا حدث؟

فتقدم إليه حمدي بسرعة، وبادره قائلاً:

لقد جئنا لمقابلة سيادتك في أمر غاية في الخطورة، لا يَحْتمل التأخير ولو لدقيقة واحدة.

روى له الأصدقاء ما حدث، فبدت على وجهه الدهشة وعلامات الاهتمام، وجعل يفكر بسرعة، ثم قال:

لكم الحق في هذا الشك.

بيد أنه توقف فجأة، وقال وكأنه يُحدّث نفسه:

ولكن المشكلة تكمن في أن رجلاً مثله من المؤكد أنه سيعتمد ألا يقدم اسمه أو هويته لموظف الفندق، وأن

يغادر المكان مسرعًا، حتى لا يكتشف أحد أمره.

ومرت فترة صمت، كانت الحيرة خلالها بادية علـــى وجوه الجميع.

قطع حمدي الصمت قائلاً:

لقد خطرت ببالي فكرة ستحل هذه المشكلة.

فلما التفت إليه مدير المخابرات، أردف حمدي قائلاً:

إن أمامنا ثلاثة من الشباب قد شاهدوا الرجل معًا.

وأنا أعرف أن لديكم أكثر من رسام يستطيع بمهاراته الفائقة رسم صور الأشخاص، طبقًا للأوصاف التي يدلي بها الشهود للتعرف على المجرمين.

نظر إليه مدير المخابرات في إعجاب، وقال:

فعلاً، إنه حل مدهش!

لم تمر إلا بضع ساعات فقط، حتـــى تـــم اســـتدعاء الشبان الثلاثة، ولما أدلوا بأوصاف الرجل أمام الرســـام

ومدير المخابرات، قدم لهم الرسام الصورة، فصاح الشبان الثلاثة في صوت واحد:

يا الله! إنها صورته بالفعل!

وعلى الفور، تم إرسال نسخ من الصور إلى الجهات المختصة للتحري عن صاحبها، ووصلت النتيجة تقول:

إنها صورة خليل النيرامي، المجرم الشهير، والذي سبق أن تم سجنه لمدة خمسة عشر عامًا!

صاح حمدي وقد شعر أنه قد حقق نصرًا مؤكَّدًا:

الحمد لله.. لقد وصلنا إلى أول الخيط.

فأردفت لمياء في سعادة:

ولكننا أمام مجرم حقيقي!

وبعد أن سادت فترة من الصمت، قطعت هادية الصمت وهي تقول وكأنها تحدث نفسها:

إن الخطاب يعني أن العملية مدبرة.

سألها جاسر في حيرة:

ماذا تقصدين؟

أجابت هادية:

أقصد أنه ما دام الخطاب وصل بالخطأ إلى الدكتور الهواري، عضو الجمعية، فإن هناك من يريد أن يدبر مكيدة لعضو الجمعية لكي تصل إلى العميد.

فكر الجميع في الأمر، فصاحت لمياء:

إن معنى ذلك أن هناك من يقوم بعمل مكيدة للجمعية نفسها!

فتدخل حمدي قائلاً:

فعلاً! وهذا يتوقف على تعرفنا على بومضير الهواري، عضو الجمعية.

أسرع الأصدقاء إلى مدير المخابرات مرة أخرى؛ ليعطي أوامره للاستعلام عن بومضير الهواري، ووصلت

المعلومات التي تؤكد أنه جزائري الجنسية، كان يعـيش في كندا كمهاجر لمدة طويلة، وقد التحق بالجمعية منـذ خمسة عشر يومًا، أي قبل الاجتماع الذي انعقد بأسبوع واحد فقط،

وهو أحدث عضو انضم إلى الجمعية.

تساءلت هادية في حيرة وشك:

أليس في الأمر شيء غريب؟

فسألتها لمياء في دهشة:

لماذا؟

فقالت هادية في شك:

إن الجمعية تأسست منذ أكثر من ثلاث سنوات، فلماذا يشترك هذا العضو في الجمعية قبل أسبوع فقط، وقبـل هذه المكيدة التي تمت؟ ربما يكون هذا الرجل ضلعًا فـي هذه المؤامرة.

فكر حمدي في الأمر وقال:

إن هذا يتوقف فعلاً على حقيقة هذا الرجل، ويمكننا أن نتأكد من ذلك لو عرفنا من جمهورية الجزائر إن كان هذا الرجل مجرمًا أم لا.

وعلى الفور لجأ الأصدقاء مرة أخرى إلى مدير المخابرات، وطلبوا منه معاونتهم في معرفة ذلك.

وبعد يوم واحد فقط، جاءت النتيجة تقول: إنه لا يوجد في الجزائر كلها إلا اسم لفرد واحد يدعى بومضير الهواري، وهو فتى صغير لا يتعدى الخامسة عشر من عمره!

فأطلق وليد صرخة عالية، فقالت هادية:

لقد اتضح الأمر الآن.. هناك منظمة ما تحاول أن تثير الفتنة بين أنحاء العالم العربي ضد جمعية نهضة العرب، والتي تمثل أمل العرب في النهضة، وقد لفتوا الأنظار إلى ذلك من خلال اختطاف جلبهار، وتعمدوا إلصاق

التهمة بالجمعية، عن طريــق زج هــذا المجــرم بــين أعضائها بنفس اسم الدكتور عميد الكلية؛ ليبــدو الأمــر عن طريق الخطأ، وعندما يقومون بارتكاب جرائم بنفس الأسلوب في البلاد العربية والأفريقية، تتأكد بذلك الدول العربية أن جمعية نهضة العرب هي جمعيــة إجراميــة، مثل المنظمات الإرهابية، فيؤدي ذلك إلــي حــرب بــين جميع البلاد العربية؛ لأن كل دولة عربية يمثلهــا عــدد كبير من أبنائها في عضوية هذه الجمعية.

تدخل طلال لأول مرة قائلاً:

فعلاً! وخاصة أنه قــد وضــح تمامًــا أن الجمعيــة ستشتري العباقرة الصغار، وأنه سيتبادر إلــي الأذهــان على الفور، أن من يختطف العباقرة الصغار هم أعضاء الجمعية.

بيد أن وليد تساءل في حيرة:

ولكن لماذا يربطون في الخطاب بين اختطاف جلبهار

بصفتها عبقرية، وبين ثروة أبيها؟

فأجابت هادية:

لأنه سيتبادر إلي أذهان الناس أن الجمعية لن تُلحقهم بالمداس كما تقول، بل ستقوم بتربيتهم لديها في أماكن خاصة، حتى يصيروا كبارًا؛ فتُلْزِمهم بالعمل لحسابها.

قال طلال في لهفة:

رغم أننا نجحنا في معرفة وجود مجرم وراء ذلك، لكن هذا قد لا يفيدنا في العثور علي شقيقتي.

قال ذلك وأجهش بالبكاء.

وجد الأصدقاء أنفسهم يبكون معه، فواصل طلال حديثة بالرغم من شهقاته:

إذا كان وراء الحادث منظمة أو عصابة، فمن المؤكد أنها مجهولة، ولا توجد حتى في دولة واحدة، بل هي متواجدة في جميع أنحاء العالم؛ لأنها قامت بتسع حالات

اختطاف في دول مختلفة.

ساد بين الجميع شعور بالإحباط، بالرغم من أنهم توصلوا إلى اثنين من أفراد العصابة.

عقَّبت لمياء في حزن وخوف:

وكيف نتوصل إلى هؤلاء المختَطِفين، ونحن مجرد أفراد لا نستطيع أن نتعقب مجرمًا بمفرده، فما بالنا بعصابة أو منظمة عالمية؟!

مرت فترة صمت سادها الحزن والقلق بين الجميع، ولكن حمدي قطع الصمت قائلاً:

اسمعوا يا جماعة، إن الحل في أيدينا نحن!

فسأله وليد وهو لا يصدق:

ماذا تقول يا حمدي؟ كيف يمكن ذلك ونحن لا نملك أي إمكانيات؟!

أجاب حمدي:

نعم يمكنا ذلك؛ لأن العدو كان يستطيع أن يضرب ضرباته كما يريد، لأننا كنا نجهله، أما الآن فنستطيع نحن أن نضربه؛ لأنه هو الذي يجهلنا تمامًا.

نظر إليه الجميع في دهشة وحيرة، فأردف مفسرًا:

إننا الآن قد توصلنا إلى أن خليل النبراوي وبومضير الهواري من المؤكد أنهما يَتْبعان عصابة أو منظمة واحدة، ولا تعرف هذه العصابة أو المنظمة أننا قد عرفنا أنهما ضمن هذه العصابة.

سأله جاسر في حيرة:

إنهما الخيط الذي قد يجعلنا نصل إلى المنظمة، ولكن كيف نستطيع الوصول إليهما؟

أجاب حمدي:

هذا ما فكرت فيه الآن. صحيح أن بومضير الهواري قد غادر مصر، ولكن المجرم خليل النبراوي لم يهرب؛ لأنه لا يخطر بباله أبدًا أن أحدًا توصل إليه، ولذا

يتصرف بدون الحاجة للاختفاء، ومن هنا يسهل تعقبـه؛ فنستطيع أن نعرف من وزارة الداخلية عنوانـه داخـل مصر.

أضافت هادية:

ولا تنسوا أنه توجد نقطة في منتهى الأهمية.

فلما التفت الجميع إليه متسائلين في لهفة، أضـافت قائلة:

إن جلبهار ليست صغيرة لدرجة أن عصابة أو منظمة يمكنها أن تهرب بها خارج البلاد، فهي موجـودة هنـا، وما دامت موجودة، فمعنى ذلك أننا نسـتطيع التوصـل إليها من خلال خليل النبراوي.

صاحت لمياء وقد شعرت بأنهم قد توصلوا بذلك إلـى طوق النجاة:

فعلاً:

وعلى الفور، أسرع حمدي واتصل بمدير المخابرات،

ولم تمر إلا نصف ســاعة فقــط، حتــى حصــل مــدير المخابرات على العنوان من أجهزة الداخلية. كان العنوان هو: شارع بركة الفيل- قرية الزوامل- مركز بلبــيس- محافظة الشرقية.

فصاح وليد في حماس:

لنذهب جميعًا لمراقبته.

ولكن حمدي قال معترضًا:

لا يا جماعة.. إن لهجتكم غير مصرية، وستلفت نظر أهل القرية، وقد ينتابهم الشك في أمرنا، فيبلغون خليــل النبراوي. يكفي أن نقوم أنا وجاسر فقط بمهمة المراقبة والبحث.

فقالت هادية محذِّرة:

إن الرجل- وإن كان لا يتصور أبدًا أننا قد توصــلنا إلى حقيقته وعلاقته بالعصابة أو المنظمة- قــد يعــرف على الأقل شكلنا، فهو من المؤكد قد شاهدنا في المؤتمر

الذي انعقد بالهيلتون؛ ولذلك يجب أن تتنكرا تمامًا قبـل أن تقوما بمراقبته.

وفي صباح اليوم التالي، كان حمدي وجاسر يركبـان سيارة حمدي في طريقهما إلي محافظة الشـرقية، وقـد تنكرا تمامًا، حيث وضع حمـدي علـي رأسـه شـعرًا مستعارًا أصفر اللون، أما جاسر فقد صبغ لـون شـعره الأصفر باللون الأسود، كما وضع شاربًا علـى وجهـه، فبدى أكبر من سنه بكثير.

قالت لمياء عندما شاهدتهما متنكِّرَيْن:

لقد نجحتما في التنكر لدرجة أنني لم أعرف شـكلكما أول الأمر!

وبعد سبع ساعات كاملة أمضاها حمدي في القيـادة، وصل الصديقان إلى مركز بلبيس، وهنـاك سـألا أحـد الرجال الذي كان يقف علي جانب الطريق عـن قريـة الزوامل، فأشار الرجل إلى أنها على بعد اثنين كيلو متر

فقط.

بيد أنهما ما كادا يبلغان مشارف القرية، حتى انتابت حمدي الحيرة والقلق، وقال:

لقد فاتنا أمر في منتهى الأهمية.

فلما التفت إليه جاسر متسائلاً، قال:

إننا قد صرنا على شفا مدخل القرية، وأهل القرى يختلفون عن أهل المدن؛ فالقرية مغلقة على أبنائها، ولذلك يعرفون- عادة- الشخص الغريب.

وأردف في أسى: يا الله! ما العمل؟!

جعل الصديقان يفكران في حيرة وقلق، بينما كانت سيارتهما تجتاز مدخل القرية.

وفجأة صاح حمدي، وكأنما وجد ضالته المنشودة:

لقد توصلت إلى الحل!!

***

نظر جاسر إلى حمدي في دهشة، وسأله في شغف هائل: ماذا حدث؟

قال حمدي وهو يشير بيده:

انظر إلى هذا الزحام.. إنهم مجموعة من الناس يشيِّعون جنازة، وهم في طريقهم لدفنة بالمقابر.

سأله جاسر وقد تضاعفت حيرته: ماذا تقصد؟

أجاب حمدي:

إن الناس عندما يأتون إلي أهل القرية للعزاء لا يكونون بالضرورة من أهل المتوفَّى، فمن الممكن أن يكونوا معارفه، أو معارف أحد أقاربه، أو زملاؤه في العمل.

وعلى الفور، اتجه حمدي وراء الجنازة، وما أن اقترب من أحد المشيعين، حتى سأله قائلاً:

هل هذه جنازة المرحوم..

قال ذلك وتوقف، فأجاب الرجل وهو يواصل السير:

إنه الحاج عبد الشافي الجاعلي.

فعاد حمدي إلى سيارته مرة أخري، وقادها متعقبًا الجنازة. لقد عرف اسم المتوفَّى، وبذلك يسهل عليه الحديث عن الرجل، وقد لا يشك أحد أنه غريب.

استمر حمدي وراء الجنازة حتى وصل إلى المقابر، وقد كان يعرف أن العادات المتَّبعة في هذه الأحوال، أن أهل المتوفَّى، أو حتى جيرانه من أهل البلدة، لا يتركون من يأتي من خارج القرية لتقديم واجب العزاء، حتى يبيت في البلدة، ولا يغادرون البلدة إلا في اليوم التالي، خاصة إذا حضر العزاء ليلاً.

نجحت بذلك خطة حمدي في أن يستمر في أداء العزاء هو وجاسر حتى ساعة متأخرة، وكان كل واحد من الصديقين- بين حين آخر- يُخرج من جيبه صورة

لخليل النبراوي ليلقي نظرة عليها، ثم يقارن بينها وبين وجوه المعزّين، ولكن لم يظهر النبراوي بينهم.

فكر حمدي في أن يسأل أحد الجالسين بجانبه عنـــه، ولكنه آثر الصمت، فقد يصر أحد ممن يسألهم علـــى أن يقدمهما إلى خليل النبراوى، فيشك الرجل فـــي أمرهمـــا على الفور؛ لأن مجرمًا مثله لا يثق بطبيعته في أحد من الناس.

وفي صباح اليوم التالي، كـــان الصـــديقان يجوبـــان شوارع القرية على أرجلهما. كانـــت حـــواري القريـــة الضيقة وأزقتها مغطاة بالطمي، وكان الصديقان قد تركا سيارتهما، ليتجولا بسهولة، ولم يلبثا أن تناولا إفطارهما في أحد المطاعم الذي وقع عليه اختيارهما؛ لأن موقعـــه يتيح لهما مراقبة المارة، ثم ذهبا إلـــي أحـــد المقـــاهي لتناول الشاي، وظلا يتبعان المارة، ثـــم تركـــا المقهـــى للجلوس بمقهى آخر لمواصلة المراقبة، واستمرا يطلبان المشروبات ليقطعا أطول وقت ممكن في المراقبة، فمال

جاسر على حمدي وهمس قائلاً:

لا يوجد أمامنا سوى السؤال عن خليل النبراوي؛ فلا يوجد لدينا وقت.

بيد أنهما ما كادا يسألان الناس عن خليل النبـــراوي، إذا بحمدي يصيح فجأة: جاسر.. أنظر!

وما أن نظر جاسر بسرعة في الاتجاه الذي يشير إليه حمدي، إذا به يشاهد رجلاً في منتصف الأربعـــين مـــن عمره، طويل القامة، يرتدي جلبابًا، ويضع على رأســـه عمامة. كان الرجل منهمكًا- أثناء سيره- في الحـــديث مع شاب صغير.

أخرج جاسر بسرعة الصورة التي في جيب قميصه، وما أن ألقى عليها نظرة، حتى بدت عنه كلمة واحدة في لهفة: إنه هو!!

* * *

انتفض حمدي واقفًا على الفور، ونادى علي صبي المقهى ليدفع له ثمن المشروبات، ولما جاء الصبي، ناوله حمدي ورقة فئة عشر جنيهات، وأسرع هو وجاسر لمغادرة المقهى وراء خليل النبراوي، بينما جعل الصبي يناديهما قائلاً:

الباقي يا أستاذ!

فالتفت إليه حمدي، وقال وهو في عجلة:

الباقي من أجلك.

نظر إليه الصبي وهو لا يصدق أن يترك أحد تسعة جنيهات كبقشيش، مقابل مشروبين قيمتهما معًا جنيه واحد!!

شاهد الصديقان خليل النبراوي يعرج مع الرجل الذي يرافقه إلى شارع طويل متعرّج. كانت الأرض مغطاة بالطين طوال الوقت، فوجدا مشقة شديدة وهما يتبعان

الرجل، حتى وجداه يعرج إلى شـــارع جـــانبي ضـــيق، فاضطرا إلى أن يسرعا فـــي خطاهمـــا، رغـــم المشـــقة الهائلة؛ ليلحقا بالرجل، وحتى لا يختفي من أمامهما، وما أن صارا على مشارف الشارع الجانبي، وعبراه، حتـــى وجدا الرجل يسير في ممر متعرج كثيف الطمي، ينتهـــي إلي مجموعة مـــن المبـــاني متعـــددة الأدوار، فوجـــدا النبراوي- من بعيد- يدخل من باب أحد هذه الأبنية.

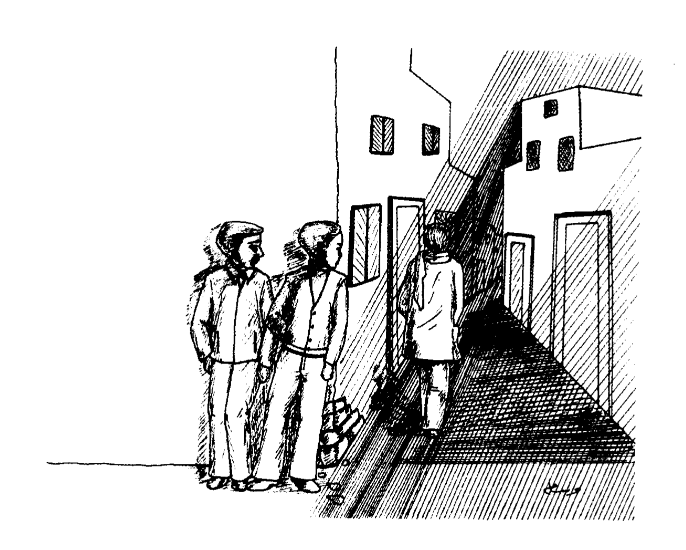
علق حمدي في حيرة:

انظر! إن المباني هنا لا تصلح لاختباء عصابة تحتجز معها فتاة؛ فلا يمكن أن يغامروا بسجنها وســـط هـــؤلاء الأهالي، فالبيوت متقاربة، وتتكون من عدة طوابق، ولا يوجد مكان معزول.

قال جاسر في حيرة ويأس:

فعلاً! لا يمكن ذلك أبدًا.

رأى الصديقان أنه من الأفضل مغادرة الشارع، حتى



يمكن أن يدلنا هذا الرجل على مكان اختفاء الفتاة

لا يلاحظ أحد شيئًا، ولكنهما ما أن شرعا في مغادرة المكان، حتى قام حمدي بإخراج قلم وورقة من جيبـــه، وسجل رقم المنزل، واسم الشارع.

قال حمدي وهو يشير بيده إلى المكان الذي تركا فيه السيارة:

لا يوجد أمامنا سوى إبلاغ رجال المباحـــث بعنـــوان خليل النبراوي الذي حددناه بالضـــبط، فـــالعنوان الـــذي حصلنا عليه من المباحث لم يحدد اسم الشـــارع، ورقـــم المنزل.

فتساءل جاسر في حيرة وشك:

أمر غريب! وهل يصعب على رجال المباحث معرفـــة عنوان هذا المجرم؟ ولماذا لم يقومـــوا بـــالقبض عليـــه بعدما عرفوا بالخبر؟

كان الصديقان قد تركا سيارتهما بالقرب من المقابر، فقد كانت شوارع القرية كلها تكسوها طبقة من الطـــين،

مما لا يسمح بمـــرور الســـيارة إلا بصـــعوبة شـــديدة؛ فاضطرا إلى السير على قدميهما لمســـافة طويلـــة فـــي الطريق الشاق، حتى وصلا إلى مكان السيارة، إلا أنهما ما كادا يقتربان من مكان سيارتهما، إذا بجاسر يصـــيح فجأة:

أنظر! أنظر! إنه..

فلما نظر حمدي إلي حيث يشير جاسر، وجد الرجـــل يسير في اتجاه المقابر، ويعرج إلى شارع ضيق طويل، فقال حمدي:

يجب أن نراقبه جيدًا، فربما يذهب إلى مكان بعيد عن أعيننا.

وعلى الفور، قام الصديقان بتتبع الرجل. كان الطريق طويلا، يفضي إلى منطقة شبه صحراوية.

واستمرا في تتبع الرجل، فشاهداه يدلف إلى شـــارع ضيق، ومنه عبر كوبري ضـــيقًا يـــؤدي إلـــى منطقـــة

صحراوية تحوي منزلا واحدًا، يتكون من طابقين فقط.

صاح حمدي وهو لا يصدق: يا الله! من المؤكد أنه هو المنزل الذي يخفون بداخله جلبهار!

قال جاسر وهو يتبع الرجل وهو يدخل المنزل:

لا يوجد أمامنا الآن سوى إبلاغ رجال الشرطة ليقوموا بالقبض عليه.

فقال حمدي: يجب أن نعبر هذا الكوبري؛ لنتعرف علي المنزل من قرب.

وما كاد حمدي يخرج ورقة من جيبه؛ ليدوّن فيها رقم مدير المخابرات العامة حتى يتصل به، إذا به يُفاجأ هو وجاسر برجلين ضَخْمَي الجسم، يظهران فجأة، ويصوّبان مسدسيهما نحوهما، وقال أحدهما في لهجة تهديد:

قفا أيها الولدان.. لقد أتعبتمونا كثيرًا!!

* * *

أصيب الصديقان حمدي وجاسر بذهول شديد من وقع المفاجأة التي لم تكن في الحسبان أبدًا، وجعلا يسيران أمام الرجلين، وهما مستسلمان تمامًا لهما، فقد ظلا يصوبان إليهما سلاحيهما، وبعد عدة دقائق فقط، شاهد الصديقان خليل النبراوي يدخل من الباب، وبادر قائلاً في دهشة شديدة:

كيف تعرَّف هذان الشابان عليَّ؟! إنني لا أصدق.

ثم توقف وجعل يُحدِّق فيهما، وأردف متسائلاً:

إنني أكاد أُصاب بالجنون. كيف عرف رجال المباحث بسري فأرسلا ورائي هذين الشابين الصغيرين، مع أن كل دوري كان مجرد تسليم الرسالة، ولم أذكر اسمي لأحد، ولم يتعرف أحد على شكلي؟! فلم تكن هناك كاميرات في الفندق لتصورني، هل هؤلاء سحرة؟!

ظل الجميع ينظرون إلي حمدي وجاسر، وقال أحدهم

وهو يلقي نظرة فاحصة حائرة للصديقين:

كل ذلك سنعرفه من الرئيس، فلولا "ستيفاني" لحصل هذان الولدان على المعلومات التي ستؤدي بنا إلى الهلاك.

وما أن توقف حمدي وجاسر ينظران في دهشة وخوف إلى رجال العصابة، إذا بالرجلين يهجمان عليهما، ويضعان أيديهما في جيوبهما، وينتزعان منهما تليفونيهما.

وقف الصديقان وهما في حيرة شديدة، فلقد كان التليفون المحمول هو الوسيلة الوحيدة التي كانا سيستخدمانها للاتصال بالأصدقاء أو بالمباحث.

مرت فترة صمت، كان خليل النبراوي يحدق خلالها في حيرة وخوف، وتناهى إلى الصديقين صوت تليفون محمول، راح أحدهم يرد عليه. كان صوته مبهمًا، وبعد أن أنهى المكالمة، التفت إلى الآخرين، وقال:

لقد صدرت الأوامر لنغادر المكان على الفور. غـــادر الرجال الثلاثة المنزل مسرعين، وتركوا حمدي وجاسرًا في المنزل؟

صاح جاسر فجأة:

يا الله! جلبهار.. من المؤكد أنها هنا.

انطلق الصديقان بسرعة يبحثان عن جلبهار في كـــل مكان بالمنزل، ولما لم يجداها، صعدا السلم إلى الطـــابق الثاني، وبالرغم من أنهما بحثا عنها فـــي كـــل مكـــان بالدور، إلا أنهما لم يعثرا لها على أثر.

صاح حمدي وهو لا يصدق:

لقد كان هذا المنزل هو المكان الوحيد الذي كنا نتوقع أنها فيه.

قال جاسر في حيرة:

هذا ما يجعلني أُصاب بالذهول؛ فالمنزل يقع في مكان منعزل تمامًا، والمجرم خليل النبراوي هو الـــذي يتـــردد

عليه،

فمن المؤكد أنه المكان الوحيد الذي يحتجزون فيه جلبهار.

فكر حمدي في الأمر، وقال وكأنه يُحدِّث نفسه:

لك الحق يا جاسر.

راح الصديقان يعاودان البحث مرة أخرى، وفجأة شعر جاسر أن قدميه قد وطأتا أرضًا رخوة، فصاح في دهشة:

يا الله! إنني أشعر وكأنما توجد هذه البلاطات فوق حفرة!

فأسرع إليه حمدي، وراحا ينزعان البلاطات التي كانت تتحرك بسهولة معهما، وما أن انتزعا عدة بلاطات منها، إذا بهما يشاهدان أسفلها سردابًا، فلم يتردد حمدي في هبوط درجاته بسرعة، وتبعه جاسر، وما أن هبطا الدرجات، حتى فوجئا بفتاة تجلس في أحد الأركان، كان

يبدو عليها البؤس والهزال الشديدان، فبدت عن جاسر صرخة من فرط المفاجأة، وقال حمدي:

إنها جلبهار!

التفتت إليهما الفتاة، وكان وجهها يشي بالضعف الشديد، ونظرت إليهما بعينين تمتلئ بالفزع الشديد، كما كان واضحًا تمامًا أنها تعرضت للتعذيب الطويل.

سألها حمدي وهو لا يصدق:

جلبهار! ماذا حدث؟!

إلا أن الفتاة ظلت تحدق فيهما، وقد ران على قسمات وجهها الرعب والبؤس. وفجأة، إذا بالجميع يفاجئون بصوت ينطلق من أعلى:

آه! لقد عثرتما عليها أيها الشقيان!

فما أن نظر جاسر وحمدي إلى أعلى السلم، حتى فوجئا بمجموعة من الرجال ينظرون إليها، ويصوب

اثنان منهما إليهما سلاحهما.

صاح أحدهما وهو يصوّب إليهما سلاحه:

هيّا أصعدا.

فاضطر حمدي وجاسر إلى الامتثال للأمر، وقاما بصعود السلم، وما أن بلغا نهايته، حتى أصبحا وسط مجموعة من الرجال، وقد صوب اثنان منهما السلاح إليهما.

سأل خليل النبراوي، وهو لا يصدق:

من أنتما أيها الشابان الصغيران؟ لا يمكن أن تكونا ضمن رجال المباحث.

ولما وجد حمدي وجاسر ينظران إليه، وهما في حالة من الحيرة، صاح في غضب شديد:

هيّا تكلّما.

فقال حمدي في ضيق:

نحن الذين نريد أن نعرف من أنتم، وما هي طلباتكم؟

لقد اختطفتم فتاة بريئة، فما ذنبها؟

فاندفع أحدهم إليه وهو يوجه إليـــه ســـلاحه، وقـــال بلهجة آمرة:

لا تسأل أيها الشاب، بل عليك أن تجيبنا فقط.

مرت فترة من الصمت، كان الصديقان يشعران خلالها أنهما يواجهان أخطر موقف في حياتهما.

فكر حمدي في مصارحتهم بعلاقتهم بإدارة المخابرات، وأنها على علم بمكانهما؛ ليخشى هؤلاء اتخاذ أي موقف متهور تجاههما، ولكنه أصر ألا يخبرهم بذلك؛ حتـــى لا يتخذون احتياطياتهم ويهربون.

وبينما كان حمدي في حيرته، إذا بتليفـــون أحـــدهم المحمول يرن، فابتعد الرجل قليلاً، وجعل يتحدث بصوت هامس. سادت فترة من الصمت، كـــان همـــس الرجـــل يقطعها بين حين وآخر، ثم أنهى الرجل مكالمته، واتجه

ناحية الصديقين، وسألهما:

من منكما حمدي فاضل؟

فأجابه حمدي في تردد:

أنا.

ففوجئ حمدي بالرجل يلتفت إلى بقية زملائه، وقال:

لقد عرفنا الآن كل شيء عن هذين الشـــابين، فلقــد صدرت إلينا الأوامر بضم الشاب حمدي فاضل هذا إلـــى مجموعة الأولاد المختَطَفِين، حيث اتضح أنه شاب شديد النبوغ!

فتبادل حمدي وجاسر النظر، وهما في ذهول شديد!!

* * *

وقف حمدي وجاسر ينظران إلى الرجال الواقفين وهم في حالة من الحيرة والحزن. كان المجرمان ما يــزالان يصوِّبان إليهما سلاحيهما، بينما كان خليــل النبــراوي، والرجل الذي انضم إلــيهم، ويــدعى ميشــدا، فيليــب، الأسترالي الجنسية- كما فهم الصديقان مــن الحــوار- يقومان بحمل بقية الأثاث الثمين تمهيدًا لنقله.

وتساءل أحد الرجلين في حيرة، وهو يوجــه حديثــه إلي بقية الرجال:

إذا كانت التعليمات قد صدرت إلينا بإخفاء هذه الفتاة، وهذا الشاب الذي يدعي حمدي فاضل،فيجب أن نتخلص من هذا الفتي، فماذا سنفعل به؟

قال ذلك، وأشار تجاه جاسر!

فسأله آخر في دهشة:

تقصد نقتله؟

فشعر جاسر بخوف شديد، ولكن ميشيل فيليب تـدخل وقال:

ماذا تقول يا أنطوان! أتريـدون قتـل هـذا الشـاب لتضعونا في مشكلة مع الزعيم؟

فتسأل أنطوان في حيرة:

ولكن ماذا سنفعل؟ فنحن لا حاجة لنا به. هل نتركـه ليبلغ عنا؟ ألا يكفي أنه هو وزميله اسـتطاعا الوصـول إلى مكاننا؟

ففوجئ الصديقان والجميع بميشيل يـومئ برأسـه، ويقول في لهجة يشوبها الفخر والدهاء:

لا يا أنطوان، بل إن هذا الولد سيخدمنا أكبر خدمـة، فهو الذي سيسهل لنا كل أمورنا!

انتابت الجميع الدهشة، فتسأل أنطوان وهو يحدق في وجه جاسر:

ماذا تقول يا ميشيل؟ هذا هو الذي سيُسـهل علينـا

الأمر!

فقال فيليب:

لا أيها السادة، بل سنجعله مع غيره رهينة يتسنى لنا الضغط من خلالها على الحكومة المصرية لمغادرة البلاد.

سكت برهة، ثم قال بصوت منخفض:

وبذلك لن يكون أمامنا رهينة نتركها إلا جاسر هذا.

التفت جاسر إلى حمدي، وتبادلا عدة نظرات، وقد رانت على وجهَيْهما علامات الأسى، من فرط الخطر الذي يداهمهما، ولكنهما أفاقا على أحد الرجال يصوب إليهما سلاحه، ويقول في لهجة تهديد:

هيا.. هيا أيها الولدان.

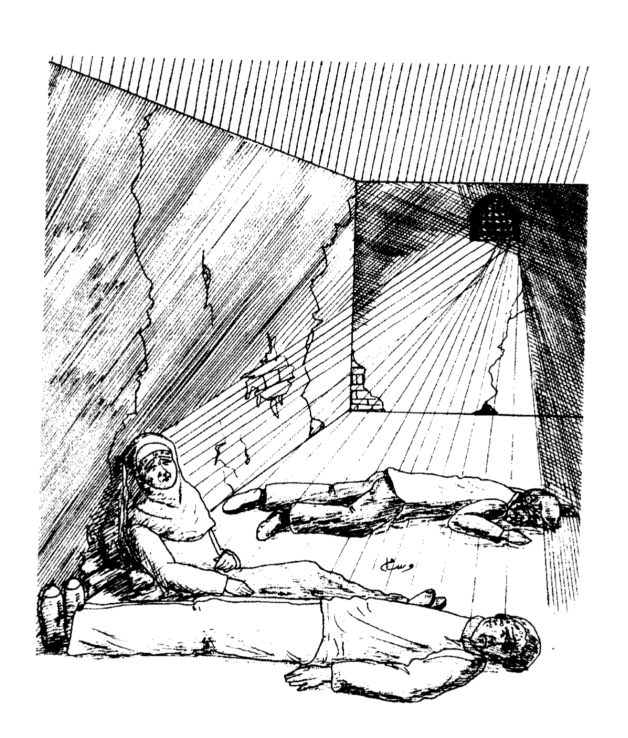
بينما هبط الرجل الآخر السلم، ولم يلبث أن صعد وهو يمسك جلبهار، التي صعدت السلم وهي في حالة من

الإعياء الشديد.

وبعد عدة ساعات وصلت إلى المنزل سيارتان بيجو، قامت إحداهما بنقل الصديقان مع جلبهار، واستقل رجال العصابة السيارة الأخرى.

كان الليل قد انتصف، وكانت السيارة تسير في طريق شبه مظلم تمامًا، لم يدرك منه حمدي سوى أن السيارة كانت تقطع ترعة الإسماعيلية. وفجأة لم يشعر حمـــدي، أو جاسر، أو جلبهـــار بشـــيء، حيـــث قـــام الـــرجلان المسلَّحان برش سائل مخدِّر علي أنوفهم، ففقدوا الوعي، ولم يفق ثلاثتهم إلا بعد عدة ساعات، حيث وجد الثلاثـــة أنفسهم في بيت مهجور لم يستطيعوا التعرف من بـــين محتوياته إلا على حجرة منخفضة الإضاءة إلـــى درجـــة كبيرة، وشيئًا فشيئًا بدأ الجميع يســـترد وعيـــه تمامًـــا، وتناهى إلى آذانهم أصوات تصدر من الطابق الأسفل.

قال حمدي في همس ممزوج بالحيرة والخوف:



**لقد تم تخديرنا لكى لا نرى شيئا**

لقد قاموا بنقلنا إلى منطقة أخرى، فهربوا بذلك من رجال المباحث.

رد جاسر في حيرة:

معنى ذلك أنهم سيُرحِّلوننا إلى الخارج، وسأكون أنا رهينة.

فقالت جلبهار، وهي في حالة فزع شديد:

يا خبر! إنهم سيزجون بنا في مكان خفي، ولمدة شبه طويلة.

فلما سألها جاسر عن السبب قالت:

لقد سمعت ذلك منهم.. إنني أكاد أموت من الرعب.

وما أن مرت فترة صمت، حتى سمع الأصدقاء هَمْهَمَة تصدر مرة أخرى من الطابق السفلي؛ فقام حمدي وجاسر إلى باب الغرفة، وجعلا يحاولان فتحه، واستمرا على ذلك لمدة، حتى نجحا في فتحه بعد مشقة هائلة، وما أن نظرا إلى أسفل، إذا بجاسر يقول في

لهفة:

أنظر! أنظر يا حمدي! ألا تتذكر صاحب هذه الصورة.

فاقترب منه حمدي، وما أن ألقى نظرة على المكان، حتى صاح في فزع:

يا خبر! إنه بومضير الهوارى الذي تقمص اسم عميد الكلية! إنه لم يهرب!

أومأ جاسر برأسه وقال:

من المؤكد أنه زعيم العصابة!

* * *

فوجئ جاسر وحمدي ببومضير الهواري يقف أمامهم، وراح يلقي عليهم نظرات فاحصة مليئة بالقسوة، والتفت إلى الرجال الذين وقفوا ينظرون إليه في ترقب ولهفة.

أطرق بومضير يفكر لعدة ثوانٍ، ثم أطلق فجأة ضحكة تعبر عن الانتصار والشماتة، وقال:

جميل! هذه الفتاة العبقرية، وهذا الولد النابغ.. إنهما سيكونان مكسبًا كبيرًا لنا.

تدخل فرانسوا وقال:

ولكن باقي الأولاد النابغين والعباقرة، ماذا سنفعل بهم؟ وكيف يتم اختطافهم ليكونوا تحت حوزتنا؟ لقد اكتشف علماؤنا ثمانين منهم بين نابغ وعبقري، من أسوان وحتى الإسكندرية.

التفت بومضير الهواري إليه، وقال في غضب:

لا تتدخل فيما لا يعنيك يا فرانسوا. هل نسيت نفسك؟!

بيد أن الرجل المسلح الثاني تدخل متسائلاً:

إن كل ما نريده يا سيدي هو معرفة ماهيَّة دورنا القادم؛ فعدد المنازل التي حصلنا عليها يُمكّننا من اختطاف هؤلاء.

تدخل فيليب ميشيل، وقال في اعتداء وزهوٍ:

لا تشغل بالك بهذا الأمر، بل لا تشغلوا بالكم جميعًا، فلقد وضعت خطتي أنا ورجالي للاستيلاء على كل هؤلاء بأسلوبي الخاص.

وتوقف برهة، وجعل يجيل النظر بين الجميع، ثم استأنف قائلاً:

إنني أطمئنكم، فالموقف تحت سيطرتنا تمامًا، وفي ظرف ثلاثة أسابيع فقط، سنجمع كل هؤلاء في الطائرة ونغادر بهم.

وبعد عدة دقائق، وجد جاسر وحمدي نفسيهما في

غرفة واحدة، فراح كل منهما يفكران في الأمر وهما في حالة من الخوف الشديد.

قال جاسر في حيرة شديدة:

ما العمل يا حمدي؟ إن ما يزيدني حيرة ودهشة، هو موقف رجال المخابرات في مصر! كيف لا ينقذوننا، أو حتى يعملوا علي إنقاذنا، وهم على علم بكل ما حدث؟!

أطلق حمدي ظفرة عميقة، وقال في حيرة:

ولكن لا تنسى أن هؤلاء الملاعين قد غيروا المكان تمامًا. إنهم ينتقلون إلى كل مكان.

أردف جاسر قائلاً في حيرة ودهشة:

والمصيبة أن الداهية فيليب ميشيل هذا سيقوم هو ورجاله باختطاف ثمانين ولدًا من النابغين والعباقرة الذين اكتشفوهم من جميع أنحاء مصر، ومن المؤكد أنه داهية.

فقال جاسر في حنق وضيق:

ولكن، ألا يوجد حل؟

صمت حمدي وراح يفكر لمدة، وفجأة بدا له شـــيء؛ فاقترب من جاسر، وهمس قائلاً:

لا يوجد أمامنا حل سوى الهروب من هذا المكان.

فقال جاسر في دهشة وحيرة:

وكيف نهرب من هذا المكان؟! المنزل كله محاصـــر بمجموعة من المسلحين.

فقال حمدي يطمئنه:

إن خطة العصابة وما سمعناه، تقوم علـــى اختطـــاف العباقرة والنابغين، وهذا يعني أنهم لـــن يقتلوننـــا، بـــل سيكونوا حريصين تمامًا على حياتنا، وهذا الأمـــر فـــي صالحنا تمامًا.

إلا أن جاسر تساءل في حيرة:

وحتى لو هربنا، فهل نترك جلبهار لهم. إنهم لو علموا بهروبنا لن يتورعوا في التخلص من جلبهار فورًا.

قال حمدي:

لك الحق، ولذلك سنجعل خطتنا هي أن نهرب نحن الثلاثة. راح الصديقان يفكران في وضع خطة للهرب، فوضعا في اعتبارهما أن الخطة تعتمد تمامًا علي المعلومات التي كلما توافرت لديهم، كلما كانت الخطة أشد إحكامًا.

صاح جاسر محذِّرًا:

لا تنس أن أي خطأ لا يعني إلا شيئًا واحدًا.. إنه الموت المؤكد.

فعادو الصديقان التفكير في عمق، ثم قال جاسر في صباح اليوم التالي:

لقد اكتشفنا الآن أن هناك أربعة منهم يبيتون في

الغرف السفلى، ولا يتركون أسلحتهم للحظة واحدة!

وفي المساء، فوجئنا بميشيل يقبـل، وراح يـتفحص وجوه الصديقين، ثم قال:

إنني أعرف كل محتويات الغرفة، وكل ما هو موجود بداخل أثاثها. إنني سأكتشف اختفاء أي شيء من داخـل الحقائب الموجودة بالغرفة، وسـيكون حسـابكم معـي عسيرًا إذا حدث ذلك.

وما أن غادر ميشيل المكان، سأل جاسر حمدي فـي حيرة:

أمر غريب! يبدو أن الحقائب تحتوي علـى أشـياء ثمينة، وإلا لما حذرنا منها.

فكر حمدي في الأمر لفترة قصيرة، ثم تساءل فجأة:

ولكن، لماذا يحذرنا ميشيل من الاسـتيلاء علـى أي شيء بالحقائب، ما دام يعرف أننـا مخطـوفين لـديهم، وتحت سيطرتهم، فبماذا ستفيدنا السرقة ما دمنا تحـت

أيديهم؟!

فكر جاسر قليلا ثم قال:

يا الله! عصابة مثل هذه، من المؤكـد أنهـا تمتلـك أسلحة أو قنابل، وقد يكون هذا ما يخشونه.

وما أن قال جاسر ذلك حتى انتفض واقفًـا، وجعـل يفتش في الحقائب. كانت هناك ثلاثة حقائب، قام بفـتح إحداهن، فوجدها تحتوي على بعض الملابس، إلا أنه ما أن قام بفتح الحقيبة الثانية، حتى وجد بـداخلها حـبلاً غليظًا. لفت ذلك نظر حمدي، فقام بمساعدة جاسر فـي إخراج هذا الحبل، ولكنهما وجـدا شـيئًا صُـلبا داخـل الحقيبة، وما أن قاما بإخراجـه بصـعوبة، حتـى قـال حمدي:

يا خبر! إنه خُطَّاف!

غمغم جاسر وكأنه يُحدّث نفسه:

خُطَّاف، وحبل سميك!

ندت عن حمدي آهة تشي بأنه قد توصل إلى طـــوق النجاة، وقال:

ذلك يعني أنهم لفتوا نظرنا رغمًا عنهم إلـــى طريقـــة الهرب!!

* * *

قال حمدي وهو لا يصدق:

لقد عثرنا على ما كنا لا نحلم به. حبل سميك ينتهي بخُطَّاف، يمكن أن نشبكه بماسورة المياه هذه، فنستطيع أن نهبط إلى الشارع من الطابق الثاني بسهولة.

قال جاسر، وقد شعر بأن هناك أمل:

ولكن، ماذا سنفعل مع جلبهار؟

صاح حمدي في حيرة:

لك حق؛ فجلبهار ضعيفة جدًّا. إننا- على الأقل- على بعد عشرين كيلو مترًا من الإسماعيلية، كما تُبين لنا تلك اللافتة التي نبصرها من النافذة، وبذلك قد نضطر إلى أن نسير على أقدامنا هذه المسافة، خاصة أننا سنهرب ليلاً وهم نائمون، ولا توجد سيارة لنقلنا، ولكن جلبهار لن تستطيع السير، ونحن غالبًا سنضطر إلى الجري.

أومأ جاسر برأسه مؤكدًا، وقال:

لك الحق في خوفك على جلبهار؛ فأي فشل في الهرب قد يؤدي- بلا شك- إلى مصرعنا.

قام الصديقان بمحاولة الاتصال بجلبهار الموجودة بالغرفة المجاورة لغرفتهما.

طرق جاسر الباب، فردت جلبهار:

من؟

قال حمدي في صوت خافت:

جلبهار، هل تسمعيننا؟

فجاءه صوتها، وكان ضعيفًا:

نعم.

فأخبرها الصديقان بأنهما وجدا الوسيلة للهرب، وجعلا يشرحان لها الخطة التي توصلا إليها للهروب.

كانت المشكلة هي ضعف جلبهار، والذي كان واضحًا

على صوتها الضعيف، وتلاحُق أنفاسها، بيد أن حمـــدي فكر لساعة، ثم قال:

لقد خطرت ببالي فكرة!

سأله جاسر في لهفة:

وما هي؟

أجاب حمدي:

أن تتظاهر جلبهار بأنها أُصيبت بحالة إعياء نتيجـــة لهبوط شديد، وتطلب أي شـــيء يُعيـــد إليهـــا صـــحتها وطاقتها، كالشيكولاتة، أو أي شيء يُعطي الطاقة.

وعندما حانت ســـاعة الغـــداء، تظـــاهرت جلبهـــار بالضعف، فقال الرجل عندما شاهدها راقدة في إعياء:

ماذا.. ماذا حدث؟

فلما طلبت منه شيئًا ليعينها على ضعفها، تهادى إلى الصديقين من غرفتهما صوت ميشيل وهو يقول:

أعطوها قطعة شيكولاتة كبيرة.

وما أن أقبل الليل، سمع الأصدقاء ميشيل وهو يقول بصوت مرتفع:

يا أدولف.. أنا وفرانسوا سنغادر بسيارتنا المكان.

همس حمدي لجاسر قائلاً:

هل سمعت؟

نعم، لن يوجد بذلك إلا رجل واحد.

هز حمدي رأسه مؤكدًا، وقال في لهفة:

الفرصة قد حانت!

وما أن قاما يناديان جلبهار، حتى سمعا صوتها وهي تقول:

هل حان الوقت.

كان صوتها قويًا هذه المرة، بالرغم من أنها تحـدثت في همس، فقال حمدي في عجالة:

هيا.. لو ضاعت علينا هذه الفرصة للنجاة فلن تتكرر أبدًا! وعلى الفور، قام حمدي بفتح النافذة، واستطاع أن يشبك بسرعة الخُطَّاف حول ماسورة المياة، بينما قـام جاسر بسرعة باحضار جلبهار.

وبدأ الثلاثة خطة الهروب، حيث قام حمدي بـالهبوط مستعملاً الحبل، وتبعته جلبهار، وقد سهل عليها جسدها الذي صار ضئيلاً سرعة النزول، بينما وقف جاسر يُؤمّن إنزالها، ثم هبط بسرعة على الحبل.

وجد الأصدقاء أنفسهم في الطريق. كانت صـدروهم تعلوا وتهبط بوضوح من فرط الخوف من أن يلحق بهم أحد.

ولكنهم ما أن قطعوا مسافة تقترب من نصف الكيلـو متر، حتى وجدوا أمامهم الطريق خاليًا، فقال جاسر:

إن الطريق طويل وخالٍ، ولا يوجـد أمامنـا سـوى الجري لمسافة طويلة في هذا الظلام.

أسرع ثلاثتهم، وما كادوا يقطعون ما يقرب من كيلو مترين، حتى وقفت جلبهار أمام مبنى ريفي صغير، وصاحت في لهفة:

أنظرا! إننا من الممكن أن نرتاح هنا.

قال جاسر مؤيدًا:

فعلاً.. هيا نرتاح لساعة واحدة نجدد بها نشاطنا، أو قد نشاهد سيارة تمر أمامنا.

شق الثلاثة طريقهم في الظلام الذي داهم المكان بأكمله، فوجدوا بابه مفتوحًا، وما أن شرعوا في نداء أهل المنزل، حتى وجدوا أمامهم مفاجأة لم تخطر ببالهم أبدًا، فقد وجدوا أمامهم ستة كلاب ضخمة، وما أن شاهدتهم الكلاب، حتى انتصبت واقفة على أهبة الاستعداد للهجوم عليهم!!

* * *

تسمر الثلاثة، حمدي وجاسر وجلبهار في أمكـــانهم، وقد شعر كل منهم بأن قدميه وكأنها أُصـــيبت بالشـــلل التام؛ من جراء الرعب الذي انتابهم، وهم ينظرون إلـــي الكلاب التي راحت تعوي عواءً شديدًا، واستعدت للهجوم عليهم.

إلا أنه وفجأة، انطلق صوت عدة رصاصات من بعيد، فتوقفت الكلاب عن الهجوم، وراحت تنظر إلـــى مصـــدر الصوت، وما كادت تلتفت إلى الأصدقاء مرة أخرى، حتى انطلق صوت الرصاص مرة أخرى، وكانت موجهة مـــن أكثر من مكان، فأسفرت عن إصابة كلبين منهما، فأدارت الكلاب الأخرى ظهورها للأولاد، وانطلقت هاربة بأقصى ما تستطيع، بينما أفاق الأصدقاء مـــن هـــول الموقـــف، والتفتوا إلى مصدر إطلاق النار، فوجدوا أشباحًا لثلاثـــة رجال من بعيد، وتناهى إليهم صوت أحدهم:

أسرعوا.. أسرعوا أيها الأولاد. توجد سيارة على بعد

مائتي متر بالضبط من هنا.

وبالرغم من أن الأصدقاء لم يستطيعوا التعرف على شخصية الرجال، إلا أنهم وجدوا أنفسهم- رغمًا عنهم- يجرون حتى نهاية الطريق. وبالفعل، ما كادوا يقطعون مائتي متر، حتى وجدوا أمامهم سيارة، فلم يجدوا بُدًّا من ركوبها.

انتشر الثلاثة داخل السيارة، وكان بها ثلاثة رجال، فانطلقت بهم في الطريق المظلم. كان حمدي وجاسر وجلبهار ينظرون في وجوه الرجال الثلاثة في خوف، وفجأة صاح أحدهم:

لا تخشوا شيئًا، فأنتم الآن في أمان.

صاح حمدي وهو لا يصدق:

من أنتم؟!

فأجاب أحدهم في لهجة مطمئنة:

أطمئنوا، فنحن رجال المباحث المصريين.

كادت قلوب الأصدقاء الثلاثة تتوقف من فرط السعادة!

وبعد عدة دقائق فقط، شاهد الأصدقاء السيارة تصل إلى مدينة الإسماعيلية، وقال أحد الرجال الثلاثة:

حمدًا لله على سلامتكم يا أولاد.

وما أن غادروا السيارة، ونظروا حولهم في الظلام، حتى فوجئوا بأنفسهم أخيرًا أمام مركز شرطة الإسماعيلية، فهلل ثلاثتهم في فرحة؛ فقد شعروا فعلاً بأنهم نجوا من موت محقق.

استقبلهم مأمور المركز بحفاوة شديدة، وبادرهم قائلاً:

لقد ساعدتمونا أيها الأولاد في القبض على أخطر عصابة كادت أن تخطف العشرات من الأولاد العباقرة والنابغين المصريين، إلى جانب الآلاف من الأولاد النابغين من جميع أنحاء العالم.

سأله جاسر في لهفة:

يا الله! ذكرت حضرتك أنكم قبضتم عليهم فعلاً.

أومأ المأمور برأسه، وقال مؤكدًا:

نعم، إنهم جميعًا في الطريق إلى مديرية أمن القاهرة، فلا تتخيلوا كم تبلغ قوتهم وعددهم. إن عدد الـذين تـم القبض عليهم في مصر فقط قد تعدى المائتين وخمسين مجرمًا.

صاح حمدي وهو لا يصدق:

يا خبر! إنهم جيش كامل!

بدا لجاسر شيء، فقال في دهشة:

لقد كنت أتساءل دائمًا: ما دمتم علي دراية كاملة بما يحدث، فكيف تركتموننا في هذه الورطة؟!

ابتسم المأمور وقال:

لا تتصورا أننا منذ أن علمنـا بـالخبر مـن مـدير

المخابرات، ونحن في حالة طوارئ شديدة، حيث كان كل منا يتحرك وفق خطة محددة.

وفي هذه اللحظة، فوجيء الجميع برجل يدخل، ويقوم بتحية مأمور القسم، وما أن شـــاهده الأصـــدقاء حتـــى صاحوا جميعًا في صوت واحد وهم في ذهول:

يا الله! إنه فيليب ميشيل!

فابتسم المأمور وقال: بل هو المقدم أحمد ذهني!

فنظر ثلاثتهم إليه في ذهول تام!!

* * *

## لقاء الأصدقاء

اجتمع الأصدقاء الستة أخيرًا. كان كل منهم لا يصدق أبدًا أنه سيأتي اليوم الذي سيلتقي فيه مع الآخرين مرة أخرى. كان اجتماعهم هذه المرة في منزل حمدي، فقد جاءوا جميعًا مرافقين لجلبهار، لتعاود الإقامة مرة أخرى مع أسرة حمدي. وكان حمدي وهادية هما أشد الأصدقاء بهجة، حيث كان كل منهما لا يصدق أنه سيشاهد الآخر مرة أخرى، وكانت جلبهار في هذا اليوم في غاية الفرحة؛ لنجاتها من سجن كانت ستعيش فيه طوال عمرها، وقد شعرت الآن أنها قد صارت حرة، وكان أول شيء فعلته، أن فاجأت الجميع بوجود نمر أسود يقف بينهم، ويتأهب للهجوم عليهم، فتسمروا جميعًا في أماكنهم، لكن سرعان ما خطر ببالهم أن هذه إحدى حيل جلبهار، فأطلق وليد ضحكة مرتفعة وهو يقول:

أنتِ ماهرة معنا فقط، فلماذا لم تستخدمي هذه الحيل مع العصابة؟!

أومأ جاسر برأسه، وقال مؤكدًا:

كانوا قفزوا جميعًا من النافذة!

وبعد عدة دقائق، أقبل الحاج فاضل، والد حمدي، وكان يصطحب معه محاميه.

بادر المحامي قائلاً:

ألف مبروك يا جماعة، فأنا قادم لتوي من إدارة المخابرات، وقد علمت منهم أنه تم القبض أخيرًا على أخطر منظمة إجرامية.

فوجئ الجميع بحمدي يقول معترضًا:

ولكنني الوحيد الذي يأسف للقبض على هذه المنظمة!

فلما التفت إليه الجميع، وهم لا يصدقون ما سمعوا، أردف قائلاً:

لأنها العصابة الوحيدة التي اعتبرتني عبقريًّا، فلا تنسوا أنني كنت أحد الذين اعترفت العصابة بنبوغهم!

علق جاسر وهو يضحك بصوت مرتفع:

يبدو أنك عبقري في الشر، ونحن لا نعرف عنك ذلك يا حمدي.

سادت فترة من المرح، كان كل واحد من الأصدقاء يروي كيف كان وضعهم عندما اختُطف جاسر وحمدي.

بيد أنه بدا لطلال شيء، فسأله المحامي في دهشة وحيرة:

إن الأمر الذي يحيرني هو: لماذا قبضت المباحث على أفراد هذه العصابة؟ أقصد ما هي تهمتهم بالضبط؟

ساد بين الجميع صمت تام، وجعل كل منهم ينظر إلى المحامي:

لك الحق في هذا السؤال، فأنا قد اطلعت على كل محاضر الشرطة الخاصة بهذه العصابة، فعلمت منها أشياء عجيبة عنهم.

ثم توقف للحظات، وجعل يفتش في وجوه الجميع،

وأردف قائلاً:

إن هذه العصابة تتكون من مئات الأعضاء، والـذين يمتلك كل منهم ثروة طائلة.

سأله جاسر وهو لا يصدق:

ما داموا أغنياء، فلماذا يشكلون عصابة؟

أجاب المحامي:

لأن كل عضو من هؤلاء الأعضاء قد حصـل علـى ثروته الطائلة، إما من بيع السلاح للدول النامية، أو من تجارة المخدرات. وأخيرًا، فإن معظم هؤلاء قد اتجهـوا بنشاطهم منذ عدة سنوات فقط إلى الاتجـار بالأعضـاء البشرية، أما في هذه السنوات، فخطتهم كانـت سـتقوم على شراء الأدوية مرتفعة الثمن، وتخزينها، ثم بيعهـا بعد مدة بأضعاف ثمنها.

سألته لمياء وهي لا تصدق:

وما هي الأدوية مرتفعة الثمن هذه؟

أجاب المحامي:

أهمها الأدوية المخلَّقة عن طريق الهندسة الوراثيـــة، فتوجد مثلاً أدوية للسرطان، سعر الجرعة الواحدة منها يصل إلى اثني عشر ألف جنيه. تصوروا لو تم مضـــاعفة هذا السعر! عشرات الآلاف مـــن المرضـــى ســـيموتون بسبب ذلك.

تدخل الحاج فاضل لأول مرة، وسأل في حيرة:

ولكن لماذا لم تقبض دول العالم عليهم، وهم يقومون بكل هذه العمليات الإجرامية؟

تنهد المحامي، وقال في أسي:

إن ذلك بسبب قدرتهم على استغلال ظاهرة العولمة.

وعندما نظر إليه الجميع غير مصدقين، أجاب قائلاً:

نعم؛ لأنهم لجأوا إلى أخطر حيلة، فقد كونوا شـــركة

متعددة الجنسيات، لا تخضع لدولة بعينها، ومــن خــلال هذه الشركة، كانوا يقومون بأخطر الأعمال الإجرامية.

فسألته هادية وهي لا تصدق:

إذا كانت حكومات العالم أجمع لا تســتطيع أن تقــوم بالقبض عليهم، فكيف استطاعوا القبض عليهم في هــذه المرة؟

ازدادت لهفة الجميع علــى معرفــة الســبب، فقــال المحامي:

نعم؛ لأنهم عندما أعجبتهم فكرة جمعية نهضة العرب، من خلال اكتشاف النابغين والعباقرة، وإتاحة كل الفرص لظهور عبقرياتهم، ثم توظيف هذه القدرات لصالح العرب لمدة محددة، فإنهم فكروا في القيام بنفس الفكرة، ولكن من خلال أسلوبهم الإجرامي.

سأله طلال في حيرة شديدة:

وكيف ذلك؟

أجاب المحامي:

لأنهم لم يفكروا مثل جمعية نهضة مصر، بل فكـروا في الطريقة التي تجعلهم يستفيدون من هؤلاء العبـاقرة إلى الأبد، ولا يدفعون أي مقابل لهم أو لبلادهم.

سأل حمدي في دهشة:

وكيف ذلك؟

أجاب المحامي:

من خلال التوقيع على إيصال أمانة أو شيك بملايـين الدولارات ، فإذا ظهرت عبقريتهم، إما أن يفرجوا عنهم للعمل لأي دولة كبـرى بعـد أن اسـتردادهم ملايـين الدولارات هذه، وإذا لم يجدوا عرضًا مناسبًا، يظلوا تحت سيطرتهم إلى الأبد.

توقف الرجل، وتنهد وهو يقول:

وكأنهم يعودون بذلك إلى عصر العبودية!

علّقت هادية في أسَى: يا لها من تهمة بشعة!

سألته لمياء في حيرة:

يا الله! ولكن كيف اخترقت حكومات العالم النظام القانوني العالمي، وقامت بالقبض عليهم؟!

قال المحامي:

منذ أن علمت المخابرات في مصر بأمر هذه المنظمة، شعرت بمدى الخطورة على الأجيال القادمة، لأن هناك احتكار من جانب هذه المنظمة للعباقرة والنابغين في العالم بأكمله، ولهذا نجحنا في استصدار موافقة عالمية سرية بين حكومات العالم للقبض على أفراد هذه المنظمة.

أطلق حمدي زفرة قوية وقال:

لقد تذكرت الآن رئيس الجمعية وهو يلفت نظرنا إلى ضرورة معرفة ظاهرة العولمة؛ لنعرف كيف تكون في صالحنا، وما حدث هو أول بشائرها!